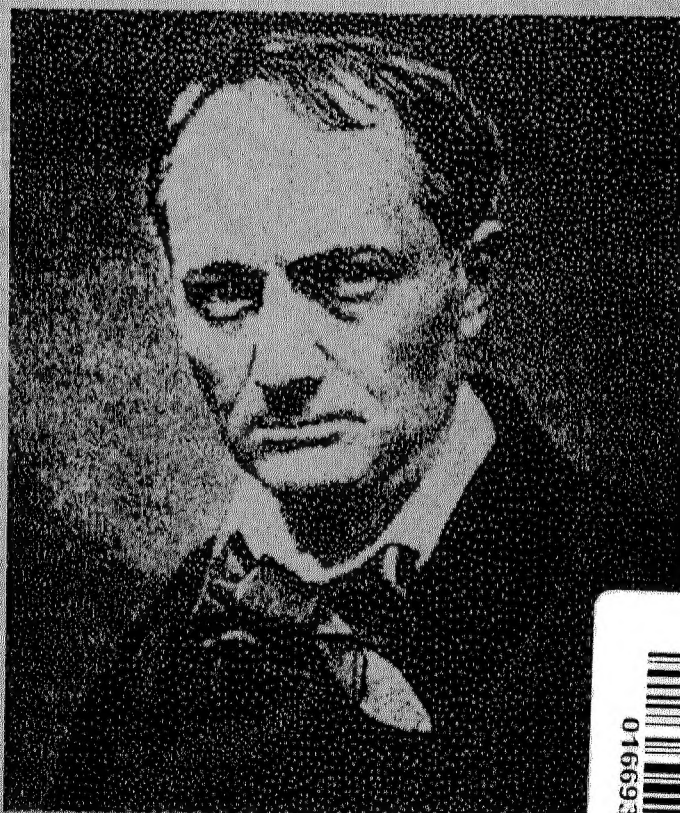


شاعر الوردية

سكندر الخطيب والتمرد



مترجم وتحرير
الدكتور عمر عبد المجيد

البشير



شارل بودلير
شاعر الخطيئة والمترد

مفوق الطبع محفوظ

الطبعة الاولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٩٧/٣/١٠٢
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية ٩٧/٣/٢٤٠

Dar Al-Bashir

For Publishing & Distribution

Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali

Tel: (659891) / (659892)

Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir

P.O.Box. (182077) - (183982)

Amman 11118 Jordan

دار البشير

مركز جوهرة القدس التجاري - العبدلي

هاتف: ٦٥٩٨٩٢ / ٦٥٩٨٩١

فاكس: ٦٥٩٨٩٣ - تليكس: ٢٣٧٠٨ بشير

ص.ب: ١٨٢٠٧٧ / ١٨٣٩٨٢

عمان ١١١١٨ الاردن

شارل بودليير

شاعر الخطيئة والمُتَرَدِّد

تَقْرِيبٌ وَتَحْلِيلٌ
الدُّكْتُورُ عُمَرُ عَبْدِ الْمَاجِدِ

توزيع
دار البشير

إهداء

إلى ابنتي نوار...

فقد كان لها الفضل في دفعي لاقتحام عالم هذا

الشاعر المدهش !!!

الذي خلق بعبقريته لغةً جديدةً ...

وعلاقاتٍ جديدةً بين المفردات.

عذابات الشاعر

إلى روح الشاعر شارل بودلير

أيُّها المحمولُ كالنعلش ...
على جمرِ خطاياكَ العظيمة.
من صياح الديكِ حتى غسقِ الليلِ ..
تجرُّ جناحيكَ على الأسفلتِ ...
مخموراً بأوجاع الهزيمة.
عائراً في خطوك المجرَّوح حتى العظم ...
تقتاتُ الأسى زاداً على بحرِ أماسيكَ ...
الملبَّئة بالتشردِّ والفجيعة.
وتضاجعُ الأفعى التي شحنتكَ بالسَّم الخرافي الزعافُ.

تغشى طواحين الجنون ولا تخاف.
وتعاشر الشيطان والسعلاة..
والغول الذي يقتات من أعصابك المشدودة..
الأوتار آلاء اليقين.
يا طائر البطروس أنت « الجرح والسكين »
والألم الذي يفري عظامك في تضاعيف السنين.
للريح صدرك عاري الكتفين..
إلا من دثار الشعر والوهج الذي..
يأتي بميلاد القصيدة.
للثلج والأمطار معطفك الذي
اهترأ النسيجُ به كما اهترأت ...
بداخلك القناعات العتيدة.
يا طائر البطروس نارُ الشعرِ محرقه
شقيت بوقدها دهرأ..
كما شقيتُ قرابينُ العقيدة
للمم غناءك من حلوق الطير ...

والريح التي هجرت شِراعَكَ في أجاجِ الملح ..
وادخل حافي القدمين للنُّصبِ القديمة
لا باغياً ظفراً ..
ولا مستسماً تخشى الهزيمة
فالريحُ قد هدأت.
فتم كالطفل حين يَهْدّه تعبُ النهارِ
مزمارةُ القصبي منكسراً
ودميته الأثيرةُ عند أقدام الجدارِ

عمر

الخرطوم أبريل ١٩٩٤م

رسالة إلى القارئ

ولكن بين الثعالب والفهود والقُمَّل ..
والقِرْدَة والعقارب والنسور والحَيَّات ..
والوحوش العاوية الصارخة الزاحفة ..
داخل آثامنا الدنيئة المقرزة
فإنّ هنالك من هو أكثر بشاعة وأكثرُ خبثاً وقدارة.
رغم كونه مستكيناً دون حركةٍ أو صراخٍ.
جاعلاً من الأرض حطاماً ويابساً.
وبوسعه ابتلاع العالم في شهقةٍ واحدة:
إِنَّهُ الضَّجْرُ ..
العينُ المليئةُ بالرعبِ اللاإرادي.
الحاملةُ في ارتخاءٍ على منبصةِ الإعدام وخلف دخانِ النراجيل.

وَأَنْتَ تَعْرِفُهُ أَتُيَّهَا الْقَارِئُ الْمُنَافِقُ ..

يَا شَيْهِي يَا أَخِي ..

إِنَّهُ الضَّجْرُ !!!

شارل بودلير

مدخل

في البدء أود أن أضع نفسي على كرسي الاعتراف لأقرّ بحقيقة مؤداها أن ترجمة الشعر من لغته الأصلية إلى لغة أخرى، عملية شاقة للغاية بل تكاد تكون ضرباً من الجنون . فترجمة الشعر محاولة لإعادة الخلق ومعاناة مخاض ثانٍ . إذ أن مترجم الشعر يجهد نفسه ليضعها في اللحظة الشعورية للعملية الإبداعية لمعاناة الشاعر إبان الطلق الشعري، الذي يسبق عادة عملية الخلق وإنجاب «المعادل الموضوعي»، الذي يعتمل ذهن ووجدان الشاعر بالتيارات المصطرعة الصخابة على حدّ تعبير ت.س. إليوت . وبما أن اللغة، أيّ لغة، في تحليلها النهائي تمثل عقلية وتراكماً ثقافياً ومعرفياً وتاريخياً طويلاً، وقيماً جمالية وروحية للشعب الذي يتحدثها، فإنّ نقل العمل الإبداعي والشعر على وجه الخصوص من لغته الأصلية والبيئة التي نشأ فيها إلى لغة أخرى، وبالتالي إلى عقلية أخرى وبيئة أخرى وموروثات أخرى تصبح مهمة في غاية الصعوبة والمشقة، مما قد يفقده الكثير من بهائه وعذوبته، بل يجعل منه في كثير من الأحيان عملاً باهتاً يفتقر إلى الإمتاع

وإثارة الدهشة المفترضة أن يُجلِّقها في نفس المتلقي إذا ما أُتيحت له قراءة النص في لغته الأم . بالإضافة إلى ذلك فإن الصورة الشعرية في حدّ ذاتها تمثل رؤيا تلتقطها عدسة عين الرؤيا الشعرية لدى الشاعر، وبما أنه من الاستحالة بمكان ترجمة الرؤيا فإن ترجمة الصورة الشعرية بكل ظلال كلماتها وتشعب أبعادها ووقع تأثيرها يصعب بالمثل نقلها من لغة إلى لغة أخرى .

إذ أن لغة الأصل تخلع عليها خصوصياتها البيئية والتراثية، وتضفي على مفرداتها ظلالاً لا توطرها القواميس . ومن هنا تزداد الصعوبة وتتعدّد المهمة . وبما أن الإحساس بالجمال أو القبح أمران نسيان خاضعان للتكوين النفسي والنسيج العصبي ورهافة الحسّ فضلاً عن الموروث الحضاري والقيم الجمالية والأخلاقية السائدة في المجتمع، فإن الصدمة الجمالية التي يحدثها الشعر الجيد تختلف من لغة إلى أخرى ومن متلقٍ إلى آخر. لهذه الاعتبارات فإن الشهرة التي يحظى بها بعض الشعراء في بيئات غير بيئاتهم عبر نقل أشعارهم إلى لغات أخرى، تكون عادة مثار دهشة واستغراب، وهذا بالضبط ما حدث للأمريكان والألمان عندما رأوا تعلق الفرنسيين بأشعار إدجار الان بو وهنري هين رغم كونها مترجمة للفرنسية من الإنجليزية والألمانية . وذلك نظراً للأسباب التي تطرقنا إليها في مطلع هذا الحديث . ولا نعتقد

أَنْ أَيْ قَارِئٍ أَجْنَبِيٍّ مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ مَعْرِفَةٍ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْ
تَكُونَ لَهُ نَفْسٌ الْحَاسَةُ وَالشُّعُورُ بِالنَّشْوَةِ وَالْمَتْعَةُ الْجَمَالِيَّةُ الَّتِي يَجِدُهَا
الْقَارِئُ الْعَرَبِيُّ لِمَعْلُوقَةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ مِثْلًا، أَوْ رَائِيَةِ عَمْرِ بْنِ أَبِي
رَبِيعَةَ، أَوْ أَنْشُودَةِ الْمَطَرِ لِلسِّيَّابِ، أَوْ الْعُودَةِ إِلَى سَنَارِ مُحَمَّدٍ
عَبْدِ الْحَيِّ، أَوْ الرَّمِيكِيَةِ لِأَنْسِ الْحَاجِّ، أَوْ قِطَارِ الْغُرَبِ لِمُحَمَّدِ الْمَكِّي
إِبْرَاهِيمَ .. إلخ.

ماهي القصيدة؟ وما هو الشعر؟

في حقيقة الأمر فإنّ القصيدة ما هي إلا شكل واحد من أشكال التعبير الشعري، فالشاعرية يمكن العثور عليها في الكثير من ضروب التعبير الوجداني . إذ يمكن وجودها في الرواية كما يمكن أن تكون موجودة في اللوحة أو في المقطوعة الموسيقية أو في المناظر الطبيعية أو في البشر أنفسهم «جورج بمبيدو Anthologie De la poesie Franaise»، والشاعرية في كافة مدلولاتها وجميع أشكالها وصورها ما هي إلا انبثاق قوة أشبه بالحلّم، وغوص في الأعماق تثير في نفس المتلق أو المشاهد أو المستمع ضرباً من ضروب الفرح المشوب بالحزن أو الحزن المتع بتعبير آخر أو البهجة المتأتية من العذوبة الشعرية . وإن كانت الشاعرية موجودة في الكثير من الأشياء كما جاء في اعتقاد «جورج بمبيدو»، فإنّ ذلك لا يعني أن لا نطلبها لدى الشعراء. فالرواية واللوحة والسيمفونية الخالية من الشاعرية يمكن قراءتها أو مشاهدتها أو سماعها . بمعنى أنّه يمكن الاستغناء عن الشاعرية فيها إذا ما اتسمت بجودة الصنعة ومثانة السبك . ولكن بالنسبة للقصيدة الخالية من الشاعرية فإنّ الأمر مختلف تماماً، إذ أنّها تصبح حرفاً ميتاً يثير الملل وربما الغثيان في بعض الأحوال. وليس هذا أمراً تتسم به قصائد صغار الشعراء بل عرفته الكثير من

قصائد كبار الشعراء في تاريخ الأدب العالمي . فالقصيدة التي تفتقر إلى الشاعرية مخلوق مسنخٌ شائهٌ ولِدَ ميتاً .

يقودنا كل ذلك إلى سؤالٍ صعبٍ عن ماهية الشعر. ما هو؟ وكيف يمكن تعريفه ضمن الإبداعات الأخرى التي مارسها الإنسان طوال مسيرته على ظهر هذا الكوكب ؟ ولا أخالني أعدو الحقيقة إن قلت بأنه من أصعب الأشياء وأعقدها الوصول إلى تعريف جامع مانع لماهية الشعر .. وذلك لأنّ الشعر روح والروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً كما جاء في محكم التنزيل . لهذا الاعتبار فإنّ الإنسان بوسعه أن يحل قصيدة من القصائد من حيث الوزن والروي والقافية والمفردات والإيقاع والصور والأخيلة والتناغم ومواطن القوة والضعف فيها غير أنّ كل ذلك بالنسبة للقصيدة ما هو إلا إطاراً خارجياً وليس تعريفاً. «مبيدو نفس المصدر». لهذا الاعتبار فإننا إن أردنا الاقتراب النسبي من معنى الشعر فإننا نجده في الأثر الذي يخلقه في نفوسنا ساعة التلقي . فالقصيدة التي تحدث في نفس القارئ نوعاً من الصدمة التي تخرجه من ذاته لتلقي به في أحضان الأحلام، أو تجعله يغوص بصورة أكثر عمقاً في تضاعيف نفسه، أو تجعله يلامس الوجود أو القدر بصورة أكثر انغماساً وحِدّة، فهي قصيدة تعكس في وضوح مدى الشاعرية التي تزخر بها .

إذ أنّ الشعر ليس هو الإطار الصارم الذي يوطر القصيدة أو الالتزام الكامل بالعمود والتصريع وما إلى ذلك أو «الكلام الموزون المقفى الذي يؤدي إلى معنى»، كما جاء في حديث قدامة بن جعفر الناقد .. فهو الروح التي تسكن كل ذلك وتتخطى كل ذلك في انطلاقتها الأثيري المرف كأجنحة الفراشات، وهو في النهاية تكسير للعلاقات المتواطأ عليها بين الكلمات وخلق علاقات جديدة بينها، مما يشحن هذه المفردات بتيار كهربائي يصعق في ذهن المتلقي المسلمات القديمة المتصلة بعلاقات المفردات ببعضها البعض، وبالتالي يولد الدهشة والإمتاع والوقوع في أحضان الحلم بالنسبة للمتلقي . والكلمة في الشعر هي الإطار الذي يضبط الانفلات الخفيف للروح، ذلك السرحان، ذلك التيه والهيام إلى حدّ التلاشي في الأشياء . والكلمات في الشعر هي نظام في العلاقات يمسك الشاعر عن الخوض أبعد فيستعيده إلى العالم الترابي بعد أن كاد أن يفلت. «راجع نوري الجراح جريدة الحياة ١٦/١٢/١٩٩٦م».

شارل بودلير شاعر الخطيئة والتمرد:

صوت من أصوات الحركة الرمزية التي عرفتھا فرنسا في القرن التاسع عشر . يدور حول محاورها وينطلق من منطلقاتها، غير أنّ له تفرده وشخصيته الخاصة به، وقاموسه اللغوي الذي أضفى على شعره خصوصية لا تنفصل عن التكوين الشخصي له

بكل ما يستوعب هذا التكوين من عوامل ومؤثرات، لا سيما وأنّ العمل الإبداعي هو قبل كل شيء جزء من كيان فني مستقل «هو عالم الشاعر الخاص قبل أن يكون ملمحاً لظاهرة عامة ذات سمات مشتركة . فالشعراء في كل زمان ومكان مهما يتفوقون في الخصائص العامة للاتجاه الفني الواحد فإنه لا يمكن أن تُفقد نهائياً وبصورة قاطعة كل ملامح الفردية التي تشير إلى صاحبها وتدل عليه انظر د. عبدالحليم بلبع «مجلة الثقافة العربية ١٩٧٥م». لذلك فإنّ بودلير قد خلق بتفرده مدرسة فنية خرج من تحت معطفها العديد من الشعراء الكبار. وقد صار نتيجة لذلك أكبر شعراء الحضارة الأوروبية الحديثة المستشرقة للقرن العشرين «دائرة المعارف البريطانية : مادة بودلير».

ولد شارلس بودلير بباريس في التاسع والعشرين من أبريل عام ١٨٢١م، وتوفي بها في الحادي والثلاثين من أغسطس ١٨٦٧م، بعد عمر قصير لم يتجاوز السادسة والأربعين مليء بالضجر والحيرة والتمرد.

كان والده مشغولاً بهوموم الثقافة كما كان رساماً جيداً . ولهذا أخذ في تنشئة ابنه على تذوق جمال الأشكال والخطوط والألوان منذ حداثة سنّه ، الشيء الذي جعل منه في مستقبل حياته أكبر نقاد الفن في فرنسا القرن التاسع عشر . ومما لا شك

فإن قصيدته «مشاعل» تكشف إلى أي مدى كان مولعاً بالنقد الفني وبارعاً في مضماره ، فالخشد الضخم لأسماء الفنانين التشكيليين الذي احتوت عليه القصيدة يقف شاهداً على معرفته اللصيقة للإبداعات هؤلاء الفنانين ومواطن القوة والضعف فيها. وبعد أن توفي والده عام ١٨٢٧م وهو بعد في السادسة من عمره عكفت أمه على تربيته فأغدقت عليه الكثير من الحب والحنان والتدليل. غير أن هذه الجنة العامرة بالحب والحنان لم تدم طويلاً إذ أن أمه ما لبثت أن تزوجت من جنرال بالجيش الفرنسي مما جعل الصبي يحس بأن هذا الغريب قد دخل في حياته بصورة لم يجد لها مبرراً ليشركه قلب أمه . وقد كان ذلك أحد أسباب التعاسة التي أخذ يحس بها وهو بعد صبي لم يكمل عامه السادس. ولهذا السبب نفسه أصبحت مشاعره تجاه أمه خليطاً من الحب والضييق والشفقة والتمرد والكراهية راجع:

Intimate "ISHER WOOD" Journal : Charles
Baudelaire

وعلى الرغم من إعجابه لحد ما بزواج أمه الجنرال أوبيك إلا أنهما كانا عالمين مختلفين يتحدثان لغتين مختلفتين تماماً، ولهذا استحال التفاهم بينهما على الرغم من أن الجنرال أوبيك كان حريصاً على تعليم الصبي الانضباط الذي أرسله من أجله عام ١٨٣٢م إلى مدرسة داخلية بمدينة ليسون. ولما انتقلت الأسرة

إلى باريس أرسله كذلك إلى مدرسة (لويس العظيم) في نفس المدينة . غير أنه ما لبث أن أصبح مثلاً للفوضى وعدم الانضباط وأخذ يبدو بمزاج دائم الحزن بعد أن ترسخ لديه شعور بأنه ذا طبيعة انطوائية . وقد قال عن نفسه حينذاك بأنّ روحه مشروخة ومتصدعة وأنّ قلبه منقبض ومغموم «يحبطه الشرّ والقبح والغباء» . لهذا أخذ ينظر إلى المستقبل بالكثير من خيبة الأمل إلى درجة صار فيها يعتقد بأنّ العالم قد شارف على نهايته «نفس المصدر» . لجملة هذه الاعتبارات، فقد أمضى حياته تعبساً غير قادر على تخطي مآسيه فظل سجّينها على الرغم من وصفه لها بأنّها «النبيل الأوحّد» . فهو يجعل من المشكلات الحياتية مظهراً من مظاهر الألم الذي يلف حياة الإنسان . وهي دون أدنى شك نظرة مليئة بالسوداوية ولكنها لا تنعزل بأيّ حال عن نفسيته المصابة بالكثير من الإحباطات بدءاً من المستوى الأسري . فالتمزق الشديد الذي عانى منه من جرّاء زواج أمه من الجنرال أوبيك ومشاركة الأخير في قلبها جعل بعض النقاد يتهمون به بقدرة أوديب . وعلى الرغم من صحة أو عدم صحة هذا الزعم إلا أنّ سوداوية مزاجه ونفسه المترعة بالحسرات التي انعسكت على قاموسه اللغوي الذي ترخر مفرداته بكلمات مثل الحزن، الضجر، الظلمات، الكهوف، الهاويات، المخلوقات الخرافية، الدهاليز المظلمة، المقبرات، الموت، الدود، السم، السكين، الخنجر، الجرح،

الألم وما إلى ذلك من هذه المعزوفة المرعبة يرده بعض النقاد إلى الصدمة العاطفية التي تعرض لها في صغره من ارتباط أمه بالجنرال أوبيك .

غير أنه في حقيقة الأمر لم يكن شارل بودلير شخصاً سوى العقل. فقد جاء في إحدى اعترافاته ما يلي : كان جميع أسلافي مصابين بالجنون أو الهوس ... وقد مات جميعهم كضحايا لانفعالاتهم المختلفة «انظر سايمونز آرثر : خطابات بودلير لأمه». كما كتب أيضاً عن نفسه الكلمات التالية «كان لديّ شعور غريب بالعزلة على الرغم من وجود أسرتي ورغم بقائي دائماً لوحدي أو حتى بين أقراني من الأطفال» «نفس المصدر» غير أن العقلاء بالنسبة لشاعرنا ليسوا أفضل حالٍ من المجانين.

إلا أن ذلك لم يكن العامل الوحيد في تشكيل نفسية بودلير وملئها بالضجر. فقد لعب عصره هو الآخر دوراً هاماً في ذلك، كما لعب نفس الدور بالنسبة لنفسيات العديد من مبدعي زمانه في أوروبا القرن التاسع عشر، التي جعلت منها الثورة الصناعية وحمى التزاحم من أجل المستعمرات مجتمعات تطفر من مرحلة الإقطاع إلى مرحلة الرأسمالية بعلاقات إنتاجها الجديدة، وتحكم الآلة فيها وتعقد حياتها الاجتماعية والطبقية والقبح الذي خبرته المدن والتمدّد والذي عرفته أطرافها . وقد أفرز كل ذلك الكثير من الحركات الرافضة . منها من آثر العودة إلى الطبيعة والارتقاء

في أحضانها كالحركة الرومانتيكية، ومنها من آثر الخروج على قيم ونظم المجتمع الرأسمالي الآخذ في التشكل والتمرد عليه بالاستغراق في الجنس وتعاطي المخدرات، وهي مجموعة من الشعراء عرفت في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بشعراء الرذيلة. وقد ضمت تلك المجموعة عدداً من شعراء فرنسا حينذاك مثل بودلير وأرثر رامبو وفرلين. كما ضمت إدجار بو الشاعر الأمريكي، وأسكار وايلد الروائي، والكاتب الإنجليزي صاحب رواية «دوربان قراي» التي حوكم من أجلها بتهمة الخروج على القيم الأخلاقية للمجتمع الفيكتوري. وهي نفس التهمة التي لحقت بمماصرة شارل بودلير في باريس عام ١٨٥٧م والتي علق عليها بودلير بقوله: «لم يكن بوسعي أن أكتب بطريقة غير تلك التي كتبت بها، إذ أن ما كتبت كان انعكاساً صادقاً لنفس مضطربة غائصة لقيعان الرذيلة». بالإضافة إلى ذلك فإن الثورة الصناعية الضخمة التي عرفت أوروبا آنذاك قد جعلت الكثير من الشعراء والكتاب والفنانين ينزفون قليلاً عن العالم الخارجي، وينغمسون في عالمهم الخاص بهم بعيداً عن الرعب الذي تسببه الحياة الحديثة حتى لا تصلهم سوقية الرجل العادي. وقد شهد بودلير وأبناء جيله من الشعراء والأدباء والفنانين بزوغ فجر عصر البخار ذلك الفجر الكاذب المضاء بالغاز الصاحب الضجيج بصوت الماكينات والإعلانات .. عهد

انعدم فيه الوفاء وزادت فيه الرشوة والفساد . وقد جاء في حديث لأوسكار وايلد قوله :

«إنّ هذا العالم شيء مخيف وأنّ الخطيئة الوحيدة التي لا تغتفر فيه تسمى : «الضجر». وقال كما قال أيضاً بودلير: «أن يكون الكتاب منسجماً مع الأخلاق العامة أو لا يكون لا يهم كثيراً ما يهم هو أن يكون كتاباً جيداً أو رديئاً» أوسكار وايلد: صورة دوريان قرأى ص ٢٥٩ .

وقد أراد بودلير كما أراد أوسكار وايلد أن يحرر الإنسان بجعل الفنان المثال المحتذى لذلك . ولتحقيق هذا الهدف فإنّ على الإنسان حسب مذهبه أن يبحث عن المتعة الحسية والجمال في جميع أشكاله كان ذلك خيراً أم شراً . لأنّ الفن بالنسبة له لا علاقة له بالأخلاق وأنّ كل الفنون ما هي إلا مظهر خارجي ورمز . وأنّ من يغوصون تحت سطحها إنّما يخاطرون بأنفسهم لأنّ الفن يعكس المشاهد وليس الحياة. «وإن اختلف النقاد حول تقييم عمل إبداعي ما فإنّ ذلك يعني أنّ المؤلف كان متسقاً ومنسجماً مع نفسه». وقد قال جان بول سارتر بأنّ بودلير كان ممتلئاً بذاته إلى درجة الفيضان وأنّه ينتمي كثيراً إلى شخصه فقط لكي يتسنى له التصرف كما يهوى والغوص عميقاً في نفسه إلى درجة الضياع . وقال عنه كذلك بأنّ حصافته الفطرية لم توظف من أجل التحقق من أخطائه ولكن من أجل

الامتلاك النهائي «للأنا» بواسطة «الأنا» . لهذا لم يكن إلا الشاهد الوحيد على نفسه، ومن هذا المنطلق فهو يحاول دائماً أن يكون جلاد نفسه بنفسه، إذ أنّ الألم والعذاب يولد ثنائية وثيقة الارتباط ببعضها البعض يستحوذ عبرها الجلاد على الضحية. وبما أنّ بودلير لم يستطع رؤية نفسه فلا أقل من أن يغوص في جراحه كما تغوص المديّة في الجرح، وذلك بأمل الوصول إلى العزلة التامة والعميقة التي ينشدها والتي تشكل الطبيعة الحقيقية لتكوينه النفسي والعصبي «سارتر : مقدّمة : أزهار الشرّ ١٩٦٤م».

وقد كان لعصبيته وتقلبات مزاجه السبب الأساسي في احتقاره للأخلاق والقيم البرجوازية وضيقة بما يصفه «بالغباء»، وقد قاده كل ذلك إلى سلسلة من المشاجرات مع أسرته وأصدقائه وشركائه .

رغم كل ما سبق، وربما بسبب كل ذلك فقد كان بودلير مغرماً بحياة الدعة والراحة وباغتناء فاخر الثياب والأثاث . كما كان عاشقاً للتجول والتسكع في الطرقات وارتياك المقاهي والالتقاء بالشعراء والأدباء والفنانين فيها، فاغترف من ليل باريس كل انحرافاته من إغراق في شرب الكحول وتعاطي الأفيون والحياة البذخية التي أضاعت كل ما ورثه من ثروة وكبّلتها بالديون طوال حياته . ولهذا كان شخصاً بالنسبة للعديد من

شعراء عصره مصاباً بما يعرف «بمرض النساك» أيّ ضعف الإرادة الذي كان سبباً في الكثير من انحرافاته. وكان مدمناً للتشرد والبهيمية في حوارى الحى اللاتينى بباريس وهو المناخ الذى ألهمه العديد من قصائده . ولعل من البديهي أن نقول بأنّ الشاعر - أيّ شاعر هو مخلوق مغامر غاوياً للحرية - يبقّى جسده حراً طوع حواسه، وحواسه حرة لتتجذب نحو تلك الجهة الغامضة فيه بكل ما يسكنها، ويتحرك فيها من أصواتٍ لا تحقق لشعره دون الوصول إليها ولا وصول إليها دون الفناء فيها بما يشبه ذوبان الجزء في الكل عند المتصوفة «راجع نوري الجراح نفس المصدر».

بودلير والرحيل والبحر والعطور

كان بودلير أكثر شعراء عصره افتناناً بالرحيل والأسفار، إذ أنّ توقه الشديد للهرب من نفسه ومن القرن الذى عاش فيه جعلته في حنين دائم للسفن، فهو يرى فيها الجلال والبهاء والوسيلة التي يهرب بها إلى الجزر النائية والبحار العميقة :

فعندما تمشين محرّكة الهواء بتنورتك الواسعة الفضفاضة.
تتركين في النفس شعوراً شبيهاً بما تخلفه السفن المبحرة.
جميلة ومزهوة حينما تمخر العباب ...

ومنزلقةً في اليم بأشرعتها المليئة بالرياح ..

في إيقاع هادئ، كسولٍ وبطيء.

وعلى الرغم من أنه كان مقرراً أن تحمله السفينة في رحلة بحرية طويلة إلى كلكتا في الهند رتبها له الجنرال أوبيك بأمل أن تعينه على تغيير أسلوب حياته ومزاجه الحزين وأفكاره السوداوية، إلا أنه ما لبث أن غادر السفينة عندما رست في جزيرة الرينيون مؤثراً العودة إلى فرنسا . فقد كره البحر ورفاق رحلته على الرغم من أنه لم ينس طوال حياته الومضات المدارية التي تركت بصماتها في الكثير من أشعاره ، وعلى الرغم من حبه للبحر الذي يغوص في مياهه لكي يغوص في أعماق ذاته ملامساً الركن القصبي المظلم في دغل أحاسيسه الذي تنطلق منه شارات الإبداع والتوهج والغمغات الخفية التي تشابه أصوات حوريات البحر عند هومريوس .

أيها الإنسانُ الحرُّ الطليقُ إنَّكَ مغرمٌ بالبحرُ ...

فالبحرُ في حركته اللانهائية وصفحتهِ الوضاعةِ المصقولة ..

مرآة تنعكس عليها روحك ..

التي ليست أقل عمقاً ومرارةً من البحرُ

ويقول في قصيدةٍ أخرى :

عشتُ زمناً طويلاً داخل الأروقةِ الممتدة ..

حيث تسكَّبُ الشُّموسُ البحريةُ آلاف النيرانُ
فستتصبُّ أعمدتها الفخمةُ الملوكيةُ ..
جاعلةً من المساء كهوفاً بازليئيةً ..
فاضطراب الموج في حركته الدائبة يعكس صفحة السماء
مازجاً في صورة احتفاليةٍ روحيةٍ ..
أصداءه المتناغمة وموسيقاه الثرية ..
بألوانِ الطيفِ الزاهيةِ المنبعثةِ من عيني .



هنالك عِشْتُ غارقاً في اللذات الهادئة
في قلبِ الشفقِ والأمواجِ والبهاءِ ..
وفي وسطِ الأرقاءِ التمساءِ ..
العراةِ المشربين بالروائحِ النفاذةِ ..
المرطبين جبهتي بسعفِ النخيلِ ..
المعمقين في كياني الأسرار المؤلمة التي تضنيني
وقد ناضل بودليلٍ كثيراً عبر الارتقاء في أحضان الأحلام،
ومن خلال السخرية المريعة اللاذعة للخروج من متاهة روحه
المتصدعة وقلبه المحبط المثقل بالهموم . لهذا انكفأ على نفسه .

وانته نحو عالم مليء بالبخور والعطور المسكرة للحواس
والألوان الزاهية المدهشة والأنغام المتجاوبة في تناغم مسحور .

وحينها سأحلم بأفاني زرقاء ومضيئة ...

وبحدائق ونوافير باكية على تماثيل المرمر.

فيقول في قصيدة بعنوان «عطر» :

هل استنشقت ملء رئتيك أيها القارئ

هالاتِ عطر يفوح في أرجاء معبد ... ؟

أو من محفظةٍ للمسك مفتحةٍ الجنبات .. ؟

إنه سحرٌ عميقٌ تنتشى منه أرواحنا المبهورة .

ويعيد ماضي أيامنا ليعانق حاضرها في لحظاتٍ قصارٍ

كحال المحب الذي يقطف من تذكّار ..

زهرةً حبةٍ النهار.

ويقول في مقطع آخر:

كان العطر يفوح من خصلاتٍ شعرها المطاطي الكثيف

كما يتصاعدُ الطيبُ الوحشيُّ الطليقُ من فوهاتٍ المباخر.

ويجيء قوله في قصيدة له بعنوان «العطر الغريب»:

إنني أستشق رائحة نهديكِ السخين ...
وأرى أمامي شواطئ رملية تنضجُ بالسعادة
يجهر ضوء الشمس الساطع فيها العيون.
أرى جزيرةً كسولةً تهبُ فيها الطبيعة
أشجاراً فريدة وثماراً تزخر بالرحيق
ورجالاً نحالاً أقوياء
ونساءً يثرن الدهشة من نظراتهن الجريئة.



يقودني شذاك الفريد نحو أجوائك الساحرة
فأرى مرافئء تزدحم بالأشعة والصواري ..
المجهدة من أمواج البحر المتلاحقة الصخابة .



وحيثما يفوح عطر أشجار تمر الهند المخضرة
مخلفاً وراءه هالاتٍ عطرية تداعب الأنوف ..
يختلط في روعي الشذى بأغاني رجال البحر

جان دوفال وأخريات

كان بودلير مغرماً إلى درجة الهوس بعشيقاته الزنجيات من الرقيق الذي جلبه النخاسون من إفريقيا . فقد كان يجد لديهنّ دفء الشيطان الإفريقية وشموس المدارات الوضيئة ويشم في روائح أجسادهن وأنداءهن روائح العطور النفاذة الغريبة المختلطة بروائح الكاكاو وزيت النخيل وجوز الهند، ويستنشق ملء رئتيه عبير شعورهنّ الجعداء الكثّة المطاطية الذي يحمله على أجنحة الأحلام إلى أراضي تغسلها الشمس وتعمرها الغابات وتفوح منها روائح الأسرار «إنّك تعيدني لي الشفق والسماء الشاسعة المستديرة...» على شيطان شعرك الأزغب ذي الخصلات المتلوية المعقوفة.. «سأسكر بعمق من الروائح المختلطة..» لزيت الكاكاو والمسك والقطران. إفريقيا البعيدة الغامضة. القارة السوداء .. تمبكتو النائية التي تلفها الأسرار ولا تصل إليها التكهّنات. الكثير والكثير من الأساطير التي حملها إلى أوروبا القرن التاسع عشر الرّحالة الأوروبيون، المغامرون الذين كانت توفدهم الجمعيات الجغرافية الفرنسية والإنجليزية والألمانية من أمثال مولان وريني كايي ودنهام وكلا برتون وبارت وناختيغال وغيرهم، ممن لبسوا عباءات رجال الدين المسلمين كجواز سفر وسمة دخول عبر

بوابة الصحراء الكبرى . وقد كانت عشيقته الزنجية السوداء جان
دوفال التي أحبها كثيراً وتعلق بها «حيواناً جميلاً وكسولاً».
كتب فيها أروع قصائده رغم استهلاكها معظم ثروته وخيانتها
له مع أصدقائه. غير أنها رغم ذلك صبرت كثيراً على أمزجته
المتقلبة وقراءته الشعرية التي يكرهها على سماعها دون أن تفهم
مضامينها . لهذا ظلت عشيقة له لمدة عشرين عاماً رغم أوقات
الفتور والهجران التي كانت تعترى تلك العلاقة من وقت لآخر.
وقد قال في إحدى اعترافاته بأنه سيندم كثيراً إذا ما أقدم على
فراق هذه المرأة .. فهي كما جاء على حدّ تعبيره ملهاته
الوحيدة ومتعته ورفيقة دربه رغم كل الصدمات التي أصابته بها من
جاء علاقاتها الآثمة مع الآخرين . انظر « Martin Turnell ».

فقد كان كل منهما في حاجة إلى الآخر . فهو يقول :

رغم ذلك أحبيني أيها القلب الحاني وكوني أما ..

حتى للجاحد أو الشرير .

كوني عشيقة أو أختاً أو كونى العذوبة القصيرة العمر.

بخريفٍ بهي أو شمسٍ تأذن بالمغيب ..

ورغم كل حالات الهياج العصبي الذي يصبه على رأسها إلا
أنّه ظل يحبها ويعطف عليها ويحاول جاهداً مساعدتها . وقد

ألهمته العديد من قصائد الحب التي كانت من أرق وأعذب
ماكتب من شعر . ففي إحدى قصائده يقول مخاطباً جان
درفال: :

إلني أعبدك يا طيشي الجميل وسُمي القاتل.
بكل انقطاع وإخلاص الرهبان لمعبوداتهم.

☆☆☆☆☆☆

الصحراء والغابة تعطران خصلات شعرك الأجدد الحشنُ
ورأسك المليئة بالطلاسم والأسرار..
تترج على مقعدك الوثير حيث يضوع العطرُ
كما تفوح العطور من المباخر.

☆☆☆☆☆☆

إلّك فاتنة كالمساء..
يا حوريتي المظلمة الساخنة
وإنّ كافة المشروبات المركزة المثيرة للشهوة..
لا تكافئ هذا الكسل الجميل الذي تبدينه.
يا من تجيدين المداعبات التي تنفخ الروح في الأموات.

إنّك تمزّقيني يا سمرائي الجميلة

بضحكتك الجريئة الساخرة

وتلهبي قلبي بعينيك الناعستين كالقمر

ويقول أيضاً في جان دوفال:

إنّني أتعرف على زائرتي الحسناء ..

إنّها هي .. سوداء ... ولكن باهرة الأضواء.

وعلى الرغم من كل ما تقدم ذكره، فإنّ بعض النقاد يعتقدون بأنّ قصائد بودلير الموجهة إلى جان دوفال لم تكن قصائد حب بقدر ما كانت قصائد جنس، إذ لم يكن محباً حقيقياً حسب اعتقادهم بقدر ما كان يجيد المداعبات التي تثير الشهوة لممارسة الجنس . غير أنّ الكثيرين يعتقدون في الوقت ذاته بأنّ بودلير قد استعاض بالفن عن الجنس وبالحب في معناه العريض كجوهري لا يموت ولا يعرف الحدود أو الأحادية.

غير أنّ مارتن تورنيل يرى أنّ بودلير قد اختار جان دوفال لتمكنه من ممارسة الجانب «المرضي» من نشاطاته الجنسية، فأصبحت تبعاً لذلك «الخلق الغريب» الذي يمكن أن يعبد ويمارس معه كل أفعاله الغريبة «انظر Martin Turnell».

ويرى تورنيل أنّ الجمع بين جان دوفال والأراضي التي زارها

في ما وراء البحار أثناء رحلته البحرية إلى جزيرة الرينيون حيث
الشموس المدارية والشطآن التي يغسلها الضياء، كان القوة المحركة
لماكينة الخلق الشعري في نفس بودلير . وقال مؤكداً بأنّ جان
دوفال قد لعبت دور المنشط في شحذ خيال هذا الشاعر.

ولم تكن جان دوفال الوحيدة التي هام بحبها وألهمته شعراً
عذباً. فقد التقى « في سرادق أغصان الأشجار الأرجوانية » و« عند
هيئات أشجار جوز الهند التي تنثر النعاس في العيون » بامرأة
خلاسية « كريول » في جزيرة الرينيون ذات سحر أحاذ « وفتنة لا
يعرف لها مثيل ». وهو يؤكد بأنّها إذا جاءت إلى فرنسا أرض
السين واللوار « ستكون زينة للبنائات الفخمة العتيقة وستزرع آلاف
القصاصد في قلوب الشعراء ». فهو يخاطبها بقوله:

إذا ما ذهبت أيتها السيدة إلى أرض المجد الحقيقي .

عند شطآن السين واللوار الأخضر .

ستكونين زينة للبنائات الفخمة العتيقة .

وستزرعين في الظلال المعتمة ..

آلاف القصاصد في قلوب الشعراء ..

المذعنين لحسنك الآسر كما يدعن في بلادكم الأرقاء .

الضجر والزمن والميتافيزيق

كان بودلير يبنى بأخيلته قصوراً فيما وراء البحار، قصوراً
تعمرها نساء شبقات وقطط غامضات تشع من أعينها الكثير من
النظرات الغامضة الخفيفة . ويهبط إلى قاع الجحيم باحثاً عن
الأزهار التي يعشقها إلى درجة الهوس . ويستخلص الجمال من
الشر والقيح كما يستخلص الكيميائي الذهب من الصخور.
ويستل لحظات السعادة والمرح من اندلاق المصائب على رأسه
المسكونة بالهواجس . فقد جاء قوله في قصيدة له بعنوان
«الصوت»:

أحب بالحنان كله البحر والصحراء .

وأضحك في المآتم وأبكي في الأفراح

أيتها الديدان السوداء الفاقدة الأعين والآذان

ها قد جاءكِ ميتٌ حرٌّ وسعيدٌ

والموت بالنسبة لبودلير هو العزاء الذي يدفع للحياة ، وهو
أملها الوحيد والإكسیر الذي يتفرعها ويهبها المقدرة على السير
حتى (المساء) . فهو - أي الموت بالنسبة لبودلير - خلاص من
الضجر الذي ينخر أيامه، وانطلاقاً وحرية وسعادةً لروحه من قيود
الطين، وعنت الحياة التي عاشها منفياً داخل مجتمعه شبيهاً بطائر

البطروس أمير الآفاق الذي يرتاد العواصف ويهزأ من نبل الصياد.
إلا أن ثقل جناحيه الضخمين المجرورين يكبل خطاه ويجعله
محل سخرية «الأوغاد». وبودلير هنا أكثر عمقاً وأبعد فلسفة من
الشاعر الإنجليزي كولردج الذي ذكر طائر البطروس في قصيدة
له بعنوان الملاح العجوز. فبينما يتخذ بودلير من هذا الطائر رمزاً
لمكانة الشاعر بين «الأوغاد» يستخدمه كولردج لتكملة فسيفساء
الصور التي تذخر بها قصيدته العامرة بالملاح الرومانطيقية. ففي
قصيدة بودلير يشبه شاعرنا في مرارة حال الشاعر أيّ حال
نفسه وسط أبناء جلدته بحال هذا الطائر البحري العملاق، عندما
ترمي به المقادير على ظهر سفينة فيصبح ملك الآفاق هذا ملهاة
وسخرية لرجال البحر.

وما أن تحط قدميها على سطح سفينة...

حتى تجر ملوك الآفاق هذي...

في رعونة تدعو للثناء..

أجنحتها الضخمة البيضاء

كما تنجر المجاذيف على جانبي قارب.

☆☆☆☆

إن الشاعر شبيه بأمر الآفاق هذا.

يرتاد العواصف ويهزأ من نبل الصياد
منفي في الأرض بين الساخرين والأوغاد
يعوق خطاه ثقل جناحيه الضخمين المجرورين

كان له أيضاً شعور حاد بالزمن وضرورة استغلاله إلى أقصى حدّ ممكن ، لأنّ الزمن يأكل الحياة كما تأكل النار الحطب ويقوي من دماء ضحاياه المسفوحة. ولهذا وجب على المرء أن ينغمس في الملذات الحسية لأنّ العمر محدود والموت مترص على الأبواب ، وعبر هذه الملذات يستطيع السمو إلى المطلق وإلى ما وراء الوراء وبهذا تصبح هذه الانحرافات ضرباً من التصوف. ففي قصيدة له بعنوان «ساعة الجدار» يجيء قوله :

تذكّروا أنّ الزمنَ لاعبٌ بارِعٌ ونهيمٌ ..

يكسبُ دون غِشٍ وفي كل الأوقات

تذكروا أنّ الأيام تتناقص والليالي تزدادُ

واللجةُ ظامئةٌ وساعةُ الماءِ في جفافٍ

وفي قصيدة أخرى يقول :

أعلنت الساعة منتصف الليل ...

ساخرةٌ ومستهزئةٌ بنا .

تسألنا عما صنعنا في يومنا الذي انقضى !!!

☆☆☆☆

وفي قصيدة له بعنوان « العدو » يقول :
ها أُلذا قد لامستُ خريفَ الأفكارِ
وتوجبَ عليَّ استخدامَ الفأسِ والمعولِ
لأتمكن من حيازة الأراضي المغمورة من جديدٍ
رغم الأخاديد العميقة التي تنخرها المياه كالقبورِ .

☆☆☆☆

أيتها الرائحة .. أيتها الرائحة .. إنَّ الزمنَ يأكل الحياةَ
والعدو الغامض الذي يقضم قلوبنا
ينمو ويقوي من دمائنا المسفوحة
ويقول أيضاً مخاطباً الزمن :
إنَّك تلتهم كل لحظة قطعة غالية من مباحنا المدخرة
للمواسم المقبلة .

وعلى الرغم من حمأة الرذيلة التي غاص فيها شاعرنا حتى
القيعان والانحرافات التي قادته إلى إدمان الخمر وتعاطي الأفيون
والانجراف في الجنس إلى درجة أقعده فيها مرض السفلس، إلا أنَّ

شارل بودلير كان في الوقت ذاته شاعراً ميتافيزيقياً وعميق التدين رغم عدم احترامه الظاهري للمقدسات مما أزعج كثيراً رجال الدين . فقد كانت معرفته للأشياء تنطلق من رؤية صوفية عميقة ومتجذرة في ذاته . فاستطاع عبر رؤاه صنع عالم خاص به شاسع كالروح وزاهي كالأحلام يغوص من خلاله لماهية الأشياء ليعكسها صوراً مركبة بديعة الشكل والمحتوى . وكان عالمه الخاص به يهبه دنيا من الانعكاسات المتحررة عن المادة متمثلة في الإشارات التي تربط بين الحقائق كما تربط بين الهواجس وعالم ما وراء الطبيعة . لهذا كان موقفاً بأن الحقيقة لا توجد إلا في الحلم وأن الأشياء المادية لا تقود إلا للحقيقة المادية المائلة، أما الحلم فإنه يقود إلى ما فوق الطبيعة وفوق المألوف . ولكي يصل شاعرنا إلى هذه المرحلة من التفكير حيث يصير العالم المادي أكثر مدلولية كان عليه أن يعيش وسط الأحلام والذكريات ويستخلص اللحظات السعيدة من بين المآسي والضجر كما جاء في حديثنا آنفاً . إذ لم يكن الطريق الذي يقوده إلى الإشارات المفتاحية لعالم الميتافيزيقى بآية حال هو الوجود المادي للأشياء ، وإنما الحس المرفه والشفافية المطلقة والجهاز العصبي الكامل العرى . فالعطور النفاذة التي تداعب أنفه تمنح روحه وملكاته الإبداعية التوهج والانطلاق والخفاض الشعري . فهو يقول في قصيدة بعنوان « قارورة عطر »:

إنّها ذات عطر قوي ينفذ من كل الأشياء.

حتى لكأنّه ينفلت من جدران الزواج.

فالعطر الفواح يكشف له الأسرار الكامنة في جوهر الأشياء
وبنفس القدر، فإنّ كافة الأحاسيس التي تخترق الإنسان حتى
مخ الأعظم وتتسرب إلى أعماقه الأكثر ظلاماً تؤلم بودلير ولا
تترك عصبه من أعصاب جسده دون ارتجاف. إذ أنّ اللذة تختلط
لديه بالعذاب وكلاهما وسيلة للولوج إلى الكنه الحقيقي للعالم
والى السر الذي تنطوي عليه الأشياء. فهو لا يصل إلى المعرفة
عن طريق العقل أو عبر الأفكار التجريدية ولكن عن طريق القلب
والحدس المرتبطان بالدين وعالم ما وراء الطبيعة. وهو في ذلك
شبيه بياسكال الذي أعيته الحيل للوصول إلى حقيقة الحقائق من
خلال العقل فاتجه إلى القلب والحدس مطلقاً قولته الشهيرة
«لتصمت أيّها العقل الأحمق». لهذا كانت كافة مظاهر الطبيعة
بالنسبة لبودلير ما هي إلا رموزاً لوجود الله ومن خلال تأملها
والتفكر فيها يمكن الوصول إلى الخالق.

تقدست يا إلهي ، يا واهب الألم المقدس ...

ترياقاً مطهراً لخطايانا

ورحيقاً شاحداً فينا القوة لتلقي الإمتاع المقدس .

فاللّه يختص الشاعر بمكانة مميزة و يدعوه لحضور عرس
الأضواء، والاحتفال السرمدي الذي لا تعادل بهاءه لألىء البحار
والحلى المفقودة من عهد «تدمر القديمة» لأنّه منسوج من الأنوار
الشعشعانية الخلافة، فيقول :

اعلم أنّك تختص الشاعر بمكانة مميزة ..
في صفوف السعداء من زمرة القديسين .
وإنّك قد دعوته للاحتفال السرمدي ..
للعروش والفضائل والملكوت المطلق .

فالعطور والألوان والأصوات والصور يحس بها بودلير كأشكال
متعددة للروح . ولهذا فالوصول بالنسبة له يتم عبر الأحاسيس كما
يتم من خلال الرغبات الشهوانية والأفعال الشريرة . وعلى الرغم
من أنّ هذا الطريق مدان حسبما تواطأ عليه البشر، إلا أنّه
بالنسبة لشاعرنا يقضي في نهاية المطاف إلى عالم الروح إذ أنّ
الوصول إلى عالم الأضواء يتم بالنسبة له عبر عالم الغيب
والدياجير والأحاسيس والأفكار المظلمة. وهذا ضرب من ضروب
الاشتغال بعلم الباطن. ألم يجمع الشيخ الهميم بين الأختين كما
جاء في طبقات ودّ ضيف الله أو يقوم البعض بأفعال فاضحة كما
يفعل « الملامتية »، وبقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق كما فعل
الخضر عليه السلام . فكل ذلك لون من ألوان علم الباطن كأخذ

النفس بالشدة ولبس الصوف وأكل الجراد البري في الصحراء .
وقد وصل بودلير عبر كل ذلك إلى وحدة الوجود . فجميع
الطرق وكافة المذاهب والأديان تقود إلى حقيقة الحقائق وهو في
ذلك شبيه بالسهروردي الذي مات شهيداً على أعواد معتقداته
كما مات هو الآخر على صليب ضجره بين الآخرين . من
جانب آخر فهو يدرك معنى الخطيئة ومعنى السقوط والانزلاق
إلى حمأة المعصية، ويعرف كيف أن الشيطان يمسك بالخيوط
التي تحرك أفعاله وتقود خطاه نحو هوة الجحيم :

إنّ خطايانا عبيدة وتوبتنا جبانة ..

وإنّا ندفع ثمناً باهظاً لقاء اعترافاتنا ..

ثم نعود ثانية فرحين عبر نفس الطريق الموصل

ظالمين أنّ دموعنا الصفيقة كافية لغسل أدراننا

☆☆☆☆☆☆

على وسادة الشر إنه الشيطان ذلك المخلوق القدير ..

الذي يخترق عميقاً أرواحنا المسحورة

فيتبخر معدن عزائمتنا الصلب بفعل ذلك الكيميائي البارغ

☆☆☆☆☆☆

إنّه الشيطان الذي يديه الخيوط التي تحركنا

نحو كل الأفعال القبيحة التي تسير إليها أقدامنا
وتتحدّر كل يوم جديدٍ خطواتنا نحو الجحيم
دون وجل وعبر الظلمات التي تفوح منها روائح العفن.



لهذه الاعتبارات يحاول بودلير دائماً الصعود إلى الخالق .
والتنرد على شراك المادة فيوجه الرمزي نحو السماء. ولهذا
اتسمت بعض قصائده بالروح الدينية الإيمانية والطمع في العفو
الإلهي، ويرى Jean Prevost أنّ بودلير ظل يبحث عن
الوحدة عبر التنوع، وأنّ المجهودات التي بذلها تؤكد مدى امتزاج
ذاته ومظاهر الكون الأخرى، بالذات الإلهية لهذا يصبح كل
شيء بالنسبة له شاهداً على وجود الله وطريقاً يقود إليه «ص ٢٦» .
فهو لهذا السبب يوجه شعره للعاطفة والأحاسيس كما ذكرنا
آنفاً مما يجعله مليحاً بالرموز. فعالم الانعكاسات يصبح عالماً للرموز
حيث كل إشارة انعكاساً لشيء آخر. فالروح يمكن أن تسافر
على خصلات الشعر وعلى أجنحة العطور حيث يمكن رؤية كل
شيء والإحساس بكل شيء.

أيّها الشعرُ الكثُ المتوجُّ خلفَ العنقِ ..

أيّتها الخصلاتُ، أيّها العطر المليء باللامبالاة ..

أشعرُ برغبةٍ في إعمارِ الكهفِ المظلمِ هذا المساء ..

المليء بالذكرياتِ النائمةِ في هذه الخصلات ..
أريدها أن ترف في الهواء كما ترف المناديلُ على الشرفات.

☆☆☆☆☆

آسيا المجهدَةُ وإفريقيا ذات الغليانُ
كلُّ العالمِ البعيدِ الغائبِ شبيه الأموات ..
يحيا في أعماقك السحيقة أيتها الغابة المليئة بالنسغ والرحيق.
ومثلما تهيم الأرواح وتسبح في أنغام الموسيقى.
تسبح روحي يا حبيبتى في عطرك الجميل.

☆☆☆☆☆

أيتها الخصلات الحكمة الضفر ..
كولي المصيدة التي ترفعي
لأنك تحتوين - يا بحر الأبنوس - على أحلام مدهشة ..
من الأشربة والمجازيف واللهيب والصواري

☆☆☆☆☆

ويقول في قصيدة أخرى :
ها هو ذا قد أقبل موسمُ تفتح الأزهار ..
حينما تفوح كل زهرةٍ كما يفوحُ العطرُ من مبخر ..

وتختلط الأنغام بالشذى مخلفةً هالاتٍ عطريةٍ في نسيم
المساء.

☆☆☆☆☆☆

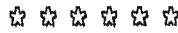
كل زهرة تفوح كالعطور من المياجر..
والكمجنة ترتعش كالقلب المترع بالأحزان
ويقول في قصيدة أخرى مخاطباً حبيبته:
إنّ عينيك وابتسامتك وقدميك..
قد أشرعت لي أبواب العالم اللانهائي الذي أعشقه.

☆☆☆☆☆☆

وتصبح العطور لديه شيئاً مادياً محسوساً وطرياً كلحم
الأطفال وكأعالي الغابات ... وذات لون أخضر كالبراري !!!
والرغبة في بلوغ المطلق تجد ما يروى غليلها أيضاً في
الفضاء الرحيب وفي الغابات والبحر والعطور والنساء. فهذا
«البحر الأبنوسي» يحتوي على أحلام مدهشة وعلى دفق من
العطور والألوان والأصوات. فعبر الأحاسيس المرفهة يمكن
الوصول إلى اللذة شبه المقدسة ومن المادة تنبعث الروح بيضاء
صاعدة للسماء.

فوق المستنقعات وفوق الأودية ..

فوقَ الجبالِ والغاباتِ والسحابِ والبحارِ ...
 وخلفَ الشمسِ والأثيرِ ..
 ووراءَ الأجواءِ المرصعةِ بالنجومِ ..
 تتحركُ رُوحِي في خِفةٍ ورشاقةٍ ..
 كما يفعلُ السَّباحُ الماهرُ بين الأمواجِ ...
 وتعبُرُ في مَرَحٍ غامرٍ هذا الفضاءَ الرحيبَ العميقَ .
 سعيدٌ ذلكَ الذي يستطيعُ بجناحينِ قويينِ ..
 أن يَنتَقلَ نحوَ مَروجِ الضوءِ الصافيةِ الشفافةِ .
 وسعيدٌ ذلكَ الذي يُحومُ فوقَ الحياةِ ..
 ويفهَمُ من دونِ ما عناءٍ ..
 لغةَ الأزاهيرِ وصمتَ الأشياءِ .
 خطاه نحوَ الجحيمِ .



ففي هذه الأبيات التي أوردناها نرى بودلير غارقاً في بهجة وحبور
 لا حدود له، يتحرر فيه من القيود الأرضية التي تكبله ومن العقبات التي
 تقف أمامه والكبوات التي تقود مسيرة. فالحلم بالتحليق في حد ذاته
 محاولة اللاوعي للتخلص من الحفر التي يسقط فيها كلما حاول المشي.

«عيناه معلقتان بالسماء فيسقط في الحفر».

إنَّه شاعر قابع في الثرى بينما تخلق أفكاره في الثريا. ولكن، على الرغم من حركة الصعود والرقى إلى سماوات علا تجعله يحلم بالأبدية، وإلى الفضاء الرحيب والبحار الشاسعة، إلا أننا نرى في الوقت ذاته حركة هبوط نحو الأسفل والغوص في ما وراء الورا. فهو حينما يضم حبيبته إلى صدره يخيل إليه بأنَّه يستنشق عطر الدماء التي تجري في عروقها: عندما أحتويك بذراعي يا مليكة المعبودات ..

يُخيلُ إليَّ أنني أستنشق عطرَ الدماءِ التي تجري في عروقك.

وعندما ينكفيء على حبيبته ليشرّب حتى الارتواء من سحر عينيها السوداوين، فهو في الوقت ذاته يغرق كل يوم جديد وتنزل خطاه نحو الجحيم.

وعلى الرغم من أنَّ السماء الصافية والفضاء الشاسع تحرران روحه الحزينة المليئة بالضجر، إلا أنَّ السماء تتشعّج في بعض الأحيان بظلام كثيف يتحول إلى هوة عميقة لتبتلع. فهي شبيهة بكهوف الحزن التي لا قرار لها وتارة أخرى شبيهة بالقيود.

غير أنَّه رغم كل شيء يجد الراحة في ظلام الليل الدامس ويتمرغ في «ستائر الظلمة المنعشة» ليريح نفسه من ضوء النهار بجلبته وضوضائه .

إنَّه محكوم عليه بالأشغال الشاقة، فهو شبيه برسام «حكمت عليه

الآلهة بالرسم في الظلام». لهذا فهو ينسحب إلى العالم السفلي لينكفئ على ذاته غير قادر على النظر إلى الأمام للعثور على الطريق القويم . فهو فريسة للوساوس والضجر الذي يعتصر قلبه كما يفعل المرء «بالورقة الملقاة في سلة المهملات».

إنّ شبيهه بالبحر الذي يتأمل فيه روحه وتؤكد له حقيقة أنّ روحه ليست أقل مرارة من أجاج الملح. إنّ يمارس الغوص في البحر لكي يغوص في ذاته. وهو كالبحر مظلم ومنكفئ على أسرارهِ.

فالبحرُ في حركته اللانهاية وصفحته الوضاعة المصقولة ..

مرآة تنعكس عليها روحكُ

التي ليست أقل عمقاً ومرارةً من البحرُ

إنك مفتون بالغوص إلى أعماق ذاتك

أما الطبيعة فهي بالنسبة لشاعرنا معبد وعالم من الانعكاسات وغابة من الرموز. فهو يلتقط أحاديثها المتداخلة المتشابكة دون أن يجرؤ على فك طلاسمها ، وهي في كثير من الأحيان إشارات غامضة وسريّة. فالأسرار التي ينطوي عليها الكون مضافة إلى التقزز والاشمئزاز الذي يخلفه الواقع المضجر في نفس بودلير فضلاً عن المرض الذي شل حركته وحطم نفسه، هي التي جعلته يحس بالحاجة الماسة لما هو روحي والتي قادته في نهاية المطاف إلى الإغراق في الرمزية المليئة بالإشارات. فروحانيته المفرطة التي أفرزها هذا الواقع المرير قد جعلته يصير انعكاس ما هو خفي على ما هو مرئي وما هو أثيري معنوي على ما هو محسوس مادي. وقد أغرقه كل ذلك في قدرية وجبرية لا حدود لهما. فلا يقرر

شيئاً لئلا يفقد أشياء أخرى في ظلمات الوجود ولا يذهب في هذه
الظلمات المفضية إلى عالم الميتافيزيق بأكثر مما يجب على الإنسان
بلوغه، فهي تابو لا يجب تجاوزها وسر أغوارها وسدرة منتهى يجب
التوقف التام والنهائي على أعتابها خوفاً من الاحتراق كما يحترق طائر
الفينيق على أعتاب بعلبك.

خاتمة

بعد هذا الطواف والمسح الذي أردنا به الكشف عن بعض الملامح الشعرية والجوانب النفسية لشاعر الخطيئة والفجيعة والتمرد شارل بودلير الذي خرجت من تحت معطفه المدرسة الرمزية في الشعر، فإننا نقول بأنّ حياته كانت مأساة بطولية لرجل حاصرته الكثير من الإخفاقات التي ناضل بشراسة للخروج منها . فالقلق العميق من مواجهة الحياة ومن مواجهة الموت والشعور بالخطيئة والشعور بالتمرد في آنٍ واحد قد تركت بصماتها واضحة على كل نتاجه الشعري . وبصرف النظر عن جدلية الخير والشر التي أدينت بسببها بعض قصائد ديوان «أزهار الشر»، إلا أنّ بودلير قد قدم للعالم شعراً جديداً جميلاً يصيب بالدهشة من أول الالتقاء به. شعراً كان له الفضل في تثوير حاسة التلقي والإمتاع لدى القارئ وفي طريقة التفكير والكتابة في غرب أوروبا. فقد أصبحت نظريته الجمالية نقطة تحول في تاريخ الشعر والأدب والفنون التشكيلية بصفة إجمالية، وكما قال فيكتور هوجو فقد خلق بودلير «عرشة جديدة في الشعر» تصيب المتلقي من أول لقاء

به. نخلص من كل ذلك إلى ما قال ISHERWOOD من أن
بودلير كان فيلسوفاً في الحب رغم ضجره بالنساء، وثورياً رغم
احتقاره للجماهير بسوقيتها وضوضائها، وأرستقراطياً رغم
اشتمزازه من الطبقة الحاكمة .. فقد كان نسيج وحده شاعراً
متفرداً عظيماً وفناناً مبدعاً كبيراً.

كلمة أخيرة، أودُّ القول بأنّ ليس في كثير مما قمنا بتعريبه
من أشعار بودلير ما ينقل في تطابق تام النص الأصلي باللغة
الفرنسية . ونعترف كما ذكرنا سابقاً بأنّ ترجمة الشعر من لغته
لأم إلى لغة أخرى تفقده الكثير من الحرارة والعمق والعدوبة التي
يتحلى بها . لهذا فإنّ ما قمنا به عمل لا ندعي له كمالاً ولا
يحق لنا فكلنا خطاؤون إلا من عصم الله. ولك العتبي حتى
ترضى .

مراجع

- 1/ Encyclopidea Britanica.
- 2/ Balba "Abd Elhalim": Journal of Arab Cutture 1975.
- 3/ Durry "Marie-Jeanne": Les Fleurs du Mal "1972" Journal 1957.
- 4/ Isherwood "christopher": Charles Baudelair: Intimate.
- 5/ Oscar Wild: Porteraït of Dorian Graye.
- 6/ Nouri "Jarrah" Al Hayat News Paper 16.12.96.
- 7/ Pomidou "georges" Anthology de la Poesie Francaise.
- 8/ Prevost "Jean": Baudelaire La Creation et L'inspiration Poetiques "Mereure France".
- 9/ Sartre "Jean Paul": Les Fleurs Du Mal "1967".
- 10/ Symons, "Arthur": Letters of Baudelair To His Mother.
- 11/ Turnell "Martin": Baudelare a study of His Poetry.

بعض قصائد من أزهار الشر

رسالة إلى القارئ

إنَّ الغباءَ والخطيئةَ والإثمَ والبخلُ ...
تسيطرُ على أرواحنا وتعملُ أجسادنا
وإنَّا لنغذي حشراتنا الحبيبةَ ...
كما يغذي الشحاذون الهوامَ التي ترعى في أجسادهم.

☆☆☆☆☆

إنَّ خطايانا عنيدةٌ وتوبُّنا جبانةٌ ..
وإنَّا لنُدفع ثمنًا باهظاً لقاءَ اعترافاتنا
ثم نعودُ ثاليةً فرحين عبرَ نفسِ الطريقِ الموحدِ ...
ظانين أنَّ دموعنا الصفيقةَ كافيةٌ لغسلِ أدراننا ..

☆☆☆☆☆

على وسادةِ الشرِّ إنَّه الشيطانُ ذلك المخلوق القديرُ
الذي يخترقُ عميقاً أرواحنا المسحورةَ .
فيتبخر معدنُ عزائمنا الصُّلبُ بفعلِ ذلك الكيميائي البارِعِ .

☆☆☆☆☆

إنَّه هو الشيطانُ الذي بيديه كلَّ الخيوطِ التي تحركنا
نحو كلِّ الأفعالِ القبيحةِ التي تسيرُ إليها أقدامنا
وتتحدَّرُ كلَّ يومٍ جديدٍ خطواتنا نحو الجحيمِ
دون وجلٍ وعبرِ الظلماتِ التي تفوحُ منها روائحُ العفنِ

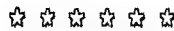


وهكذا يفعلُ الداعرُ الفقيرُ الذي يضاجعُ ويعضُ الشديَّ الشهيدَ
لعاهرةٍ شمطاء

إنَّنا جميعاً نتطلعُ إلى لذةٍ عابرةٍ في الخفاءِ.
نعتصرها بقوةٍ كأنَّها برتقالةٌ قديمةٌ.



متلاحمةٌ ومتدافعةٌ كأنَّها ملايينُ الديدانِ
أمواجُ الشياطينِ المتحركةِ في عقولنا
وعندما نتنفسُ فإنَّه الموتُ الذي ينزلُ من رئينا ...
كأنَّه نهرٌ خفيٌّ صامتٌ الشكوى



ولئن كان الاغتصابُ والسُّمُّ والخِنْجَرُ والحريقُ ...

لم تُزوق حتى الآن بألوانِ زاهية ورسمٍ بديع
فإنّ اللوحات الساذجة لتقوي قلوبنا
تفضحُ بكلِّ أسفٍ عدم نضجنا الروحي

☆☆☆☆☆☆

ولكن بين الثعالبِ والفهود والقُمَلِ
والقردةِ والعقاربِ والنسورِ والحَيَّاتِ
والوحوشِ العاويةِ الصارخةِ الزاحفةِ
داخل آثامنا الدنيئةِ المقززةِ
فإنّ هنالك من هو أكثر بشاعةً وأكثرُ خبثاً وقذاره
رغم كونه مستكيناً دون حركةٍ أو صُراخٍ
جاعلاً من الأرضِ حطاماً وبيابٍ
وبوسعه ابتلاع العالم في شهقةٍ واحدة :
إنّه الضجرُ !!!

العين المليئة بالرعبِ اللاإرادي ...
الحاملة في ارتخاء على منصة الإعدام وخلف دخان
النراجيل

وأنت تعرفه أيها القارئ المنافق ..
يا شبيهي يا أخي إنه الضجر

☆☆☆☆☆

تحليق

فوق المستنقعاتِ وفوق الأودية ...
فوق الجبالِ والغاباتِ والسحابِ والبحارِ ...
وخلف الشمسِ والأثيرِ ...
ووراء الأجواءِ المرصعةِ بالنجومِ .
تتحرك روعي في خفةٍ ورشاقةٍ
كما يفعل السباحُ الماهرُ بين الأمواجِ
وتعبر في مرحٍ غامرٍ هذا الفضاءَ الرحيبَ العميقَ ..
فالتحلقُ أيها الشاعرُ في الفضاءِ بعيداً عن روائحِ التن
المريضه
ولتذهب لتطهر نفسك في الأجواءِ العلويةِ النقية ..

مرتشفاً النارَ الوضأةَ التي تملأُ الفضاءَ ..
كما يُرْتَشَفُ النَبِيذُ المقدسُ
وخلف الضجرِ والأحزانِ الواسعةِ الممتدة ..
التي ثقلَ كاهلَ الوجودِ الضبابي ..
سعيدٌ ذلك الذي يستطيع بجناحين قوين ..
أن يطلقَ نحو مروج الضؤِ الصافيةِ الشفافة ..
محلقةً رؤاه كما تحلق طليقة القُبُرات ..
وسعيدٌ ذلك الذي يُحَوِّمُ فوق الحياه ..
ويفهم من دون ماعناء ..
لغة الأزاهير وصمت الأشياء .

الموسيقى

كثيراً ما تحملني الموسيقى كموج البحر ..
نحو نجمي الشاحب البعيد ..
وتحت سقف من الغيوم أو في طيات الأثير ..

أنشرُ أشرعتي وأعد سفيني للإبحار ...
صدري للريح ورثتي في امتلاءِ الشِراع ...
أتسلقُ ظهرَ السفنِ القابعةِ خلفَ سدوفِ الليل ..
وأحس ديبَ الحزنِ المتمدّدِ في أعماقي ...
كحزنِ سفينِ معطوبٍ في وسطِ البحر ..
الريحُ الطيبةُ والعاصفةُ الهوجاءُ ...
وهذي الأمواهُ الممتدةُ دونَ حدودٍ ...
تُهدِئُني ...
بعد أن كانت مرآةً هادئةً تعكسُ إحباطي ويأسي ...

عطر

هل استنشقت ملء رئتيك أيُّها القارئ ..
هالات عطرٍ يذوقُ في أرجاءِ معبدٍ .. ؟
أو مِنْ مِحْفَظَةٍ للمسكِ مفتحةِ الجِبابِ ... ؟
إله سحرٍ عميقٍ تنثشي منه أرواحنا المبهورة

وَيُعِيدُ ماضِي أَيَّامِنَا لِيَعَانِقَ حاضِرَهَا فِي لَحْظَاتِ قِصَارٍ ...
كَحَالِ الْحُبِّ الَّذِي يَقْطِفُ مِنَ التَّذْكَارِ ...
زَهْرَةً حَبِيبَةَ الْمُنْهَارِ.

☆☆☆☆☆☆

كَانَ الْعَطَرُ يَفُوحُ مِنْ خَصَلَاتِ شَعْرِهَا الْمَطَاطِي الْكَثِيفِ ...
كَمَا يَتَصَاعَدُ الطِّيبُ الرَّوحَشِيُّ الطَّلِيقُ مِنْ فَوَاهِ الْمُبَاخِرِ
وَمِنْ ثِيَابِ الْغَمَلِ أَوْ الْحَرِيرِ ...
الزَّاهِيَةِ بِشَبَابِهَا الْغَضْرِ وَحُسْنِهَا الْآسْرِ ..
تَفُوحُ رَائِحَةُ الْفَرَاءِ مُتَزَجَةً بِطِيبِ الْمِسْكِ وَرُوحِ اللَّيْلِ

☆☆☆☆☆☆

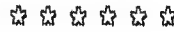
الباطروس

لَكِي يَزْجُو أَوْقَاتَ فَرَاغِهِمْ يَتْلَهُ رِجَالُ الْبَحْرِ
بَطِيرِ الْبَاطُرُوسِ تِلْكَ الْخُلُوقَاتُ الْبَحْرِيَّةُ الضَّخْمَةُ .
الْمُرَافِقَةُ الْكَسُولَةُ لِحَوَابِي الْبَحَارِ

حينما تشق سفنهم عباب البحر وأجاج الملح ..
وما أن تحط قدميها على سطح سفينة
حتى تنجر ملوك الآفاق هذى
في رعونة تدعو للثناء ...
أجنتها الضخمة البيضاء ...
كما تنجر المجاذيف على جانبي قارب.



ياله من أخرق وضعيف هذا المسافر الجريح ..
لقد كان قبل وقت وجيز يكسوه البهاء ...
وهو الآن قبيح ومثير للضحك وللثناء .
أحدهم يعن في مضايقته بمداعباته السخيفة المؤذية ...
والآخر يومئ إليه ويتبعه هازئاً من عجزه المهيض ..



إن الشاعر شبيه بأمير الآفاق هذا ..
يرتاد العواصف ويهزأ من نبل الصياد ..
منفي في الأرض ...

وبين الساخرين الأوغاد ...
يعوق خطاه ثقلُ جناحيه الضخمين الجرورين
☆☆☆☆☆☆

البحر

أيها الإنسان الحرُّ الطليقُ إنَّك مغرَمٌ بالبحرِ
فالبحرُ في حركته اللانهائية وصفحته الوضاءِ المصقولةِ
مرآةٌ تنعكس عليها روحك ...
التي ليست أقل عمقاً ومرارةً من البحرِ .
إنَّك مفتونٌ بالغوصِ إلى أعماقِ ذاتك ...
لتقبل عينيها وساعديها ويتشَّى فؤادك ...
يايقاع ضرباته كما ينتشي بهذه الضوضاءِ الشاكية
الوحشية .
إنَّ كليكما مظلمٌ ومنكفئٌ على أسرارهِ
أيُّها الإنسان لم يقدر أحد على سبرِ أغوارك .

أيها البحر ليس بوسع أحد معرفة الكنوز الكامنة في
أحشائك.

إنّ كليكما غيورٌ على مكنون أسراه .
ورغم ذلك فقد مضت قرونٌ لا حصر لها ...
وأنتما تتقاتلان دون شفقةٍ أو حسرة ..
لأنكما مغرمان بالمعارك والفناء .
أيها المتصارعان الأزليان والتوأمان الشرسان.

الشرفة

أمّ الذكرياتِ وسيّدة السيداتِ ...
يا مخدعَ مباهجي ومستودعَ أشغالي ...
أتذكرين بهجةَ المداعباتِ وجمالها ..
أتذكرين دفءَ الأحضانِ وسحرَ الأمسياتِ ..
يا أمّ الذكرياتِ وسيّدة السيداتِ.

☆☆☆☆☆

الأمسيات المضاءة باحتراق الفحم ...
أمسيات الشرفة التي يضمخها عبير الورد ..
لقد كان ثديكِ ناعماً وشهياً مثل قلبك المليء بالطيبة .
وكانت ثرائنا التي لا تنتهي ذكريات لا تعرف الفناء ..
أيّها الأمسيات المضاءة باحتراق الفحم ..
يا جمالِ الشمسِ في الأمسيات الدافئة
ويا لعمقِ الصمتِ وانتشاء القلبِ ...
عندما أحثيكِ بذراعيّ يا مليكة المعبودات ...
يخيل إليّ بأنّي أستنشقُ عطرَ الدماءِ التي تجري في
عروقك
يا جمالِ الشمسِ في الأمسيات الدافئة



لقد أظلم الليلُ كأنّما أُسدِلتْ على الكونِ ستارةٌ كثيفة ..
وعيناى تقودان خطاك في الظلمة المطبقة تماماً كما تفعلُ
عيناك ..
وتشربان من أنفاسك العطرية حتى الارتواء ...

أيتها النعومة الساحرة والسُّمُّ الزعافُ .
لقد ظل قدماك يرقدانِ على راحتيَّ كما تَركنُ اليمامةُ إلى
كفِّ طفلٍ..
وظل الليل يزداد ظلمة كأنما أُسدِلتْ على الكونِ ستارةٌ
كثيفةٌ..



أعرف جيداً فنون الأثارة عند اللحظات السعيدة
وأعيش بعمق أحداث ماضي الجائية بين ركبتيك
إذ .. ماذا يفيد البحث عن جمالك الهادئ الحزين ...
بعيداً عن جسدك وخارج قلبك الحبيب



هذه الوجود وهذه العطور النفاذة وهذه القبلات التي لا
تنتهي ...
هل تبحث من هوة سحيقة تستعصي على الاستقصاء ؟
كما ترقا في السماء الشمس المشرقة .. ؟
بعد أن تستحم في قيعان البحار العميقة.

أيتها الوجود .. أيتها العطور النفاذة ... أيتها القبلات التي
لا تنتهي .

☆☆☆☆☆

أهبك هذه الأشعار ليتسنى لاسمى
أن يخلد يوماً في ذاكرة التاريخ والحقب القادماة .
ويملاً بالأحلام والرؤى عقول الناس .
جاعلاً منها سفينة ممتلئة الأشربة بالريح الشمالية .

☆☆☆☆☆

إذ ذكراك شبيهة بالحكايات الخرافية
فهي ترهق الحواس كما يرهق الضجيج الأذنين .
وبسلسلة روحية ودودة ...
تعلقني على قوافي المزدراه .

☆☆☆☆☆

من تحيء اللعنة .. هل تأتي من هوةٍ سحيقة .. ؟
أم من عليا السموات ... ؟ لا شيء خارج ذاتي يستطيع
الإجابة ..

يا أنت يا شبيهة الظلال التي لا تدوم طويلاً ..

فالتسيري على قدمين خفيفين ولتظري بعينين صافيتين
إلى أولئك الحمقى الذين يصفونك بمر المداق .
أيها التمثال ذو العينين السوداوين يا ملاكي المعدني
العظيم.

أغنية خريفية

قريباً سوف نفوس في لجة البرد والظلمة
فوداعاً إذن أضواء الصيف قصيرة العمر
الآن قد طرق سمعي ...
ارتطام الخطب المدوي على السوح والطرقات.



سينسرب كل فصل الشتاء إلى داخل كيائي ...
غضباً وكراهية ورعدة ورعباً وأشغلاً شاقه ...
وكما الشمس في جحيمها القطبي ...
سيصير قلبي كتلة حمراء ومتجمدة.

إنني أسمعُ في رعدةِ صوتِ كلِّ الأغصانِ اليابسةِ
المتساقطة...
فمنصة الإعدام التي نُصبت ليس لديها صدى أكثر اختناقاً..
إنَّ روحي شبيهةٌ بالبرج الذي يهوى ..
تحت ضرباتِ المنجنيقِ المتعاقبةِ الكثيفة.
يخيل إليَّ وأنا أتأرجحُ من وقع الصدمةِ الرتيبِ ..
كأنَّما يسمرون على عجلٍ تام تابوتاً في مكان ما.

☆☆☆☆☆

لمن .. ؟ بالأمس كان الصيفُ وها قد أقبل الخريفُ..
وإنَّ هذه الضجة الغامضة ترن كما ترن لحظة الرحيلُ.

☆☆☆☆☆

إنني أعشق النور الأخضر المشع من عينيك أيها الجمال
الهاديء

غير أنَّه قد غدا لي اليوم أكثر مرارة من الملح...
وحتى حبك والصالونات والمدفئات لا تساوي بالنسبة لي...
أشعة ضوء الشمس المنعكسة على خد البحر.

ورغم ذلك أحييني أيها القلب الحاني وكوني أما ..
حتى للجاحد أو الشرير ..
كوني عشيقاً أو أختاً أو كوني العذوبة القصيرة العمر ..
لخريف بهي أو شمس تأذن بالمغيب



مهمة قصيرة ... فالقبر ينتظر فاغراً فاه في شره ...
لدعيني أضع جبهتي على ركبتيك ...
لأتذوق في حسرة طعم الصيف الوضاح الدافئ ...
فالشعاع الأصفر الهادئ قادم من الفصل المنصرم .

مغيب الشمس

كم هي طازجة وجميلة حين تشرق الشمس ..
مرسلة لنا كالانفجار تحيتها الصباحية ..
سعيد ذلك الذي يحظى برؤية مغيبها الأكثر روعة من
الحلم .

أذكر آتِي رأيت الزهرَ والنبعَ والحِثْ
مغشياً عليه تحت عينِ خفاقةٍ كالقلبِ.
فدعونا نستبقِ نحو الأفقِ ... فالوقتُ قد أُرِفَ .
لنمسك بشعاعِ فالتِ من قبل أن يجفَّ.

بركات من السماء

صوبَ السماءِ حيثُ ترى عيناه عرشاً عظيماً ..
رفع الشاعرُ يديه الصارعين ..
وأطلق من روحهِ البروقَ المشعةَ الصافية ...
لتُخفي عن الأنظارِ تَوَثُّرَهُ والفعالاته الغاضبة.



تقدست يا إلهي .. يا واهب الأَلمَ المقدسِ .
ترياقاً مطهراً لخطايانا ..
ورحيقاً شاحداً فينا القوة لتلقي الأمتاع المقدسِ .



أعلمُ أنّك تختص الشاعرَ بمكانةٍ مميزةٍ
 في صفوفِ السعداءِ من زمرةِ القديسينِ
 وأنّك قد دعوته للاحتفالِ السرمدي ..
 للعروشِ والفضائلِ والملكوتِ المطلقِ .
 أعلمُ أنّ الألمَ هو النبلُ الأوحَدُ ..
 حيث لا أرض ولا جحيمُ ..
 حيث أصنعُ تاجي الروحي ..
 وأفرض الأزمّةَ التي أريدُ والعوالمَ التي أشتهي .
 غير أن الحُلَى المفقودة منذ عهد «تدمر» القديمة ..
 والمعادنُ المجهولةُ ولأليء البحار ..
 التي أبدعتها يداك ..
 لا تعادل هذا البهاء الأخاذ ...
 لأنّه منسوجٌ من الأنوارِ الشعشعائيةِ الخلافة ..
 القادمة من نبع الإشعاع الحقيقي المقدس
 لتقف أمامه عيوننا الفانية
 وكأنّها مرايا معتمّة وبائسة.

مشاعل

(روبنز) نهر النسيان وبستان الخمول
وسادة اللحم الطري حيث يستحيل الحب
رغم انسياب الهواء في السماء والبحر في البحر
(ليونارد دافنشي) ... مرآة عميقة وداكنة
حيث الملائكة الساحرة بابتسامتها العذبة
ملبئة بالغموض إذ تبدو واقفة تحت الظلال
محاطة بالثلوج وأشجار الصنوبر متشابكة كالسياج.



(دميراندت) مستشفى حزين مليء بالغمغمات ..
وصليب ضخم يتدلى من على الجدران
الصلوات والدموع تنبعث من بين أكياس القمامة .
ومن شعاع شتائي مبتور.
(مايكل أنجلو) .. أمكنة غامضة حيث يرى هريكوليز

يمتزجُ بالمسيحُ ثم يتصب واقفاً
أشباحُ قويةٌ في دكنة المساء ..
تُمزقُ أكفانها بأظافرها المدببة الحادة.

☆☆☆☆☆

(كولير دي بوكسير) ... وقاحةُ المتسكعين في الطرقات .
أنت الذي عرفتَ كيف تستببط الجمالَ من القبح
أيُّها القلبُ الكبيرُ المليءُ بالغرورِ ...
أيُّها الحزين يا مليك الحكومين بالأشغال الشاقة.

☆☆☆☆☆

(واتسو) .. كرنفالُ القلوبِ المضئية ..
كالفراشاتِ المرفةِ المتوهجة
زينةٌ بهيئةً مضاءةً بالثريات
التي تسكبُ الجنونَ على هذا الحفلِ الراقصِ
الدائرِ حولَ نفسه.

☆☆☆☆☆

(قويا) .. كابوسٌ مليءٌ بأشياءَ مجهولة

أشياءَ نِيئةٌ تُطهى في محفلٍ ليليٍّ للساحرات ...
صورٌ عجائزٍ منعكسةٌ على المرآةِ وأطفالٍ عراه.

☆☆☆☆☆☆

هذه اللعناتُ وهذا النحسُ وهذه الشكاوتُ
هذا الجذبُ وهذا الصراخُ وهذي الدموعُ
أصداءُ ترددها آلافُ المتاهاثُ
إنّها للقلوبِ الفانيةِ أفيونٌ مقدسٌ.

☆☆☆☆☆☆

إنّها صرخةٌ يردددها آلافُ النواطيرُ
وتطلقها آلافُ مكبراتِ الصوتِ
إنّها شعلةٌ متوهجةٌ على آلافِ القلاعِ
لنداءِ صيادينٍ مفقودينَ في غابةٍ ملتفةٍ الأغصانُ

☆☆☆☆☆☆

إنّها خيرٌ دليل - يا إلهي -
على أنّه بوسعنا أن نُعطي من كبريائنا
وأنّ هذا النحيبُ المتواصلُ عبرَ الأزمانِ ..

سينتهي يوماً إلى زوالٍ عند شطِّ أبديتك

الخصلات

أيُّها الشعرُ الكثُ المتموجُ خلفَ العنقِ
أيُّتها الخصلاتُ، أيُّها العطرُ المليءُ باللامبالاه ..
أشعرُ برغبةٍ في إعمارِ الكهفِ المظلمِ هذا المساءَ ...
المليءِ بالذكرياتِ النائمةِ في هذه الخصلاتِ
أريدها أن تَرَفُ في الهواءِ كما تَرَفُ المناديلُ على
الشرفاتِ.



آسيا المجاهدةُ وإفريقيا ذات الغليانِ ..
كل العالمِ البعيدِ الغائبِ شبيهِ الأمواتِ ..
يحيا في أعماقكِ السحيقةِ أيُّتها الغابةُ المليئةُ بالنسغِ
والرحيقِ .
ومثلما تهيم الأرواح وتسبح في أنغام الموسيقى

تسبح روحي يا حبيبي في عطرك الجميل.

☆☆☆☆☆☆

سأذهبُ إلى هناك حيث الأشجارُ والرجالُ مليئون
بالرحيقُ

لأنّني طويلاً بالأجواءِ الدافئةِ المعطاءة ..
أيّها الخصلاتُ المحكّمةُ الضفدِ كوني المصيدة التي ترفعني ..
لأنّك تحتوين - يا بحر الأبنوس - على أحلام مدهشة
من الأشعة والمجاذيف واللهيب والصواري
المرفأ الصاحبُ حيث تشربُ روحي ..
فيضاً من العطر والأنغام والألوان .
وحيث تنزلُ السفنُ في التبر والألق
فاتحة ذراعها لاحتضانِ الجدِّ

الراقد في السماواتِ الصافيةِ حيث يرتعش الدفءُ الأزلي.

☆☆☆☆☆☆

سأدفنُ رأسي المدمنة السُكْرُ
في هذا البحر الأسود حيث ينغلق الآخرُ

وأنّ روعي الحاذقة التي تداعبها التموجات
ستعرف كيف تجد طريقها إليك أيّها الكسلُ العامرُ بالخصبِ
لتغوص لما لا نهاية في الملذات المضمخة بالطيوب.

☆☆☆☆☆

شعرٌ أزرق، بناءً مظلمةً ممتدة
إنّك تعيدني لي الشفقَ والسماءَ الشاسعةَ المستديرة
على شطآن شعرك الأزغب ذي الخصلات الملتوية المعقوفة
سأسكر بقوةٍ من الروائح المختلطة ..
لزيوت الكاكاو والمسك والقطران

☆☆☆☆☆

دائماً ولوقت طويل ستغوص أصابعي في شعرك الكثِ
الأمجد
لتزرع فيه الياقوت واللؤلؤ والصفير
لتظلين مشتعلةً الأحاسيس حينما يحين موعدُ رغبتِي.
فأنتِ واحةٌ أحلامي وريّ ظمائي .
ودني الذي أحسسى من فيضهِ نبيذَ الذكريات.

انسجام المساء

ها هو ذا قد أقبل موسمُ تفتح الأزهار ..
حينما تصوغُ كل زهرةٍ كما يصبغُ العطرُ من المبخر ...
وتختلطُ الأنعامُ بالشذى مخلقةً هالاتٍ عطريةٍ في نسيم
المساء...

شبيةً برقصةٍ حزينةٍ ودوارٍ خفيفٍ.



كُلُّ زهرةٍ تصوغُ كالعطورِ من المباخر..
والكمنجةُ ترتعشُ كالقلبِ المترعِ بالأحزان..
رقصةً حزينةً ودواراً خفيفاً..
وسماءً محزونةً وجميلةً كمذبحٍ كبيرٍ للقرايين ..



كمنجةٌ ترتعشُ كالقلبِ المترعِ بالأحزان..
قلبٌ حنونٌ يغضِ العدمَ الشاسعَ والظلمةَ الحالكةَ ..

والسماءُ محزونةٌ وجميلةٌ كمذبحٍ كبيرٍ للقرايينُ
والشمسُ غارقةٌ في دمايها الآخذةِ في التجمدُ

☆☆☆☆☆

قلبٌ حنونٌ ييغضُ العدمَ الشاسعَ والظلمةَ الحالكهَ ..
ويَقطفُ من الماضي المضيءِ كلَّ ما تبقى من مباهجٍ .
فالشمسُ غارقةٌ في دمايها الآخذةِ في التجمدُ ...
وذكراكِ تُشعُّ في داخلي كما تتوهجُ التحفُ النادرةُ.

☆☆☆☆☆

طعم العدم

أيتها النفسُ الحزينةُ يا من كنتِ عاشقةً للصدامِ
فالأمل الذي كان يَكبحُ من جماحكِ
لم يعد يقهرُك .. فالتهدئي من دون حياءِ
أيتها المهرةُ العجوزُ كثيرةُ الكبواتِ

☆☆☆☆☆

لتعزل يا قلبي ولتتم في سُبَاتِ الوحوش

☆☆☆☆

أَيَّتْهَا النفس المقهورةُ المنهكةُ ..

أَيَّتْهَا النفس المغارةُ العجوزُ ...

لم يعد للحبِ طعمٌ كما لم يعد للشجارِ طعمٌ .

وداعاً ... إذن ... أَيَّتْهَا الأغنياتُ النحاسيةُ

وداعاً .. إذن .. أَيَّتْهَا التتهديداتُ المزماريةُ

فلا تقربي أَيَّتْهَا البهجةُ هذا القلبَ المظلمَ الحزينَ ..

فالرييح الحبيب لم يعد له نفس الشذى ونفس اللحون.

وسواس

أَيُّهَا الدغلُ الكثيفُ إِنَّكَ تخيفني كالكتدرائيات.

إِنَّكَ تعوى كما يعوى الأرعن..

فتجواب الأصداءُ في قلوبنا الملعونة ..

حيثُ غرفُ الحزنِ الأبدي المرتعشةُ بالآهاتِ القديمة.

☆☆☆☆☆

إنني أكرهك أيُّها المحيط الممتد..
أكره صخبك وحركتك التي لا تهدأ .
إنّ روحي تجد كل ذلك في دواخلها ..
هذه الضحكة المريّة كضحكة المهزوم .
المليئة بالنحيب والخسرة والإهانة ..
إنني أسمع كل ذلك في الضحكة العملاقة للبحر.

☆☆☆☆☆

كم ستعجبني أيُّها الليلُ بدونِ هذه النجوم...
إن ضوءها يتحدث لغةً مفهومة..
والنبي أبحثُ عن الحوائِ والسوادِ والعُرى..
غير أنّ الظلمات هي الأخرى لوحات..
تعيش فيها متدفقةً من عيني ..
آلاف الكائنات التي تخفى على الآخرين .

العطر الغريب

عندما تكون عينايا مغمضتان في مساءٍ خريفي دافئ ..
فإنني أستشق رائحةً نهديكِ السخين ..
وأرى أمامي شواطئ رمليةً تنضجُ بالسعادة
يجهر ضوءُ الشمس الساطع فيها العيون



أرى جزيرةً كسولةً تهبُّ فيها الطبيعة
أشجاراً فريدةً وثماراً تزخرُ بالرحيق ..
ورجالاً نحالاً أقوياء ..
ونساءً يثرن الدهشةً من نظراتهن الجريئة



يقودني شذاكِ الفريدُ نحو أجوائكِ الساحرة
فأرى مرافئءَ تزدحمُ بالأشعةِ والصواري ...
المجهدة من أمواج البحر المتلاحقة الصخابة.

☆☆☆☆☆

وحينما يضوُّعُ عطرُ أشجارِ قمرِ الهندِ الخضره
مخلفاً وراءه هالاتٍ عطريةٍ تداعبُ الأنوفَ..
يختلطُ في روحي الشذى بأغاني رجالِ البحرِ.

إلى امرأةٍ شجاعةٍ

إنَّ قدميكِ ناعمانِ كراحتي كفليكِ
وردفكِ مستديرٌ يثير الغيرةَ لدى أجملِ الشقراواتِ
فهو للفنانِ الغارقِ في الأفكارِ رسمٌ بديعٌ ونادرٌ
وعيناكِ الرحيتانِ الخميتانِ ..
تبدوانِ أكثرَ سواداً من بشرتكِ اللامعةِ السوداءِ

☆☆☆☆☆

في موطنكِ الدافئِ الأزرقِ حيثِ رأيتِ الضوءَ ..
كنتِ تقومينِ بإشعالِ الغليونِ لسيدكِ الأمرِ
وبسكبِ الماءِ العذبِ العاطرِ في الأكوابِ

وتذنين عن الخدع أرتال البعوض وجموع الحشرات
وحين تغني أشجار السرور لضؤ الفجر
تستيقن الخطو لشراء الموز وأصناف الأناناس
وحيثما تشائين كان قدماك الحافيان ..
يقودانك في دندنة خفيفة بأشعار قديمة ومجهولة ...
وعندما يلفك المساء بعباءته القرمزية
تستلقين في هدوء الطفل على الحصير
لتظل أحلامك سابعة ورفرافة كالعصافير
رشيقة وردية كفرعك الناضج بالشباب



لماذا رَغِبْتَ أيتها الطفلة الجميلة في الهجر لهذه الديار
لهذه الأرض المكتظة بالأنفس المطمورة في العذاب
لِمَ ارتهنت حسنك الغض لجائبي البحار ..
ولماذا رَغِبْتَ عن ظلال جوز الهند في النهار
لتقبلين نصف عارية لهذه الثلوج والصقيع .
ستنديين كُلُّ ساعات الفراغ الهائلة البرية.

حيما يلتف حول خصرك الحزامُ القاسي كالوحوش.
أجبرتِ على التقاطِ خبزٍ عيشكِ في ديارنا ..
ويبع عطركِ الفائح من مفاتك الغريبة
فالعين المتأملّة المرافقة لك في ضبابنا القدرُ
تبعثر لها الأشباح الكامنة في أشجار جوز الهند الغائبة.

عينا برت

بوسعكما أن تزدريان أكثرَ العيون شهرةً في الكون .
يا عيني طفلي الراشح والمنفلت منهما ما لست أدري له
كنها...
سوى كونه جميلاً وناعماً كهداة الليل.
أيتها العينان الجميلتان ... فلتسكبان عليّ من سوادكما
الأخاذُ
يا عيني طفلي الواسعتين الغامضتين كلُّغزٍ معبود...
إنكما شبيهتان بالكهوفِ السحرية...

حيث تلتهم وراء ركام الظلال الكسولة..

الكثير من الكنوز النادرة المجهولة.

لطفاتي عينان غامضتان، عميقتان ورحيبتان

شبهتان بك أيها الليلُ الفسيحُ ومثلُكَ عامرتان بالأضواء

نيرانهما مشاعرُ الحبِ المختلطة بالإيمان.

المتلافة في الأعماق في إثارة أو عفاف.



حزن القمر

الليلة ظَلَ القمرُ^(١) يداعبُ أحلاماً ناعسةً وكسولة...

كامرأةٍ مستلقيةٍ على وسائدٍ وثيرة

ساهيةً تداعب نهدِها في خدرٍ ونعاسٍ

(١) القمر في اللغة الفرنسية مؤنث، وعلى الرغم من أنني استهلكت القصيدة به مذكراً كما هو الحال في اللغة العربية إلا أنني عدت لتأنيته في المقطعين الثاني والثالث انسجاماً مع النص الأصلي، إذ أن تذكره سيفقد القصيدة الكثير من الطلاوة بل ويهشم الصور التي رمى إليها الشاعر. المترجم



وعلى ظهر الثلج الرخو الناصع الصقيل
راحت ناعسةً في إغفاءاتٍ تطولُ .
عينها الفاترتان تجولان في البياض ...
الصاعدِ في الأفقِ كأنه أزهارُ
وعندما ترقدُ أحياناً في ارتخائها الكسولُ
زارقة في الخفاءِ دمةً مخزونةً ...
يمد الشاعرُ المدمنُ للسهرِ ...
كفه الراعشة لاحتضان ضوئها المشع مثل نادرِ التحفِ
لضمه في القلب بعيداً عن أعين الشمسِ

لوحة طبيعية

لكي أنظم أشعاري الريفية المذاق ..
أود أن أستلقي بالقرب من السماء كما يفعل الفلكيون ..
وأجاور الأجراس لأستمع حالماً إلى رنينها
وتجاوب أصداؤها الطائرة على أجنحة الهواء.

☆☆☆☆☆

يداي على جيبي ناظراً من على مرصدي
إلى ذلك المشغل المائج بالضوضاء والغناء ..
العامر بالمدخنت والأجراس والصواري التي تزحم في المدينة
الهواء .
متأملًا في الفضاء العريض الدافع للحلم بالأبدية.

☆☆☆☆☆

كم هو جميل أن ترى عبر الضباب كيف تولد النجوم ..
وكيف تلتهم الفوانيس على النوافذ ..
وكيف تصعد أنهار الفحم المحترق إلى السماء ..
وكيف يسكب القمر ضوءه الشاحب الخلاب ..
سأرى فصول الربيع وفصول الصيف والخريف ..
وعندما يُقبل الشتاء يثلجه الداعي للملل ..
سأغلق جميع الأبواب والنوافذ ..
لأصنع في الظلام قصوري المسحورة الغامضة .
وحينها سأحلم بأفاني زرقاء ومضيئة .
بحدائق ونوافير باكية على تماثيل الممر.

وقبلات وعصافير لا تكف عن الغناء صباحاً ومساءً.
 سأحلم بكل ما في هذه الأشعار الريفية من طفولة
 بعيداً عن الصراخ الذي لا ينفذ عبر زجاج أحلامي ..
 وسأغوص عميقاً في هذه اللذة الجامحة..
 مستعيداً دفء الربيع ومطلقاً الشمس من قلبي ..
 وصانعاً من أفكارى المشتعلة طقساً دافئاً وبديعاً.

ساعة الجدار

أيتها الوثنُ المشؤومُ البشعُ ..
 يا من تهددنا إصبعه صائحه .. (تذكروا) .
 إنَّ الآلامَ المصطرعةَ في قلوبكم المليئةَ بالرعبِ
 ستنقرسُ فيكم كما تنقرسُ السهامُ في مراميها ..



وتتبخر الملذاتُ وتهرب صوب الآفاقِ البعيدة ..
 كما تفعل المخلوقاتُ الخرافيةُ في أعماقِ الممراتِ المظلمةِ
 إلَّك تلتهمُ في كل لحظةٍ قطعةً غاليةً من مباحنا

المدخرة للمواسم المقبلة.

☆☆☆☆☆

تذكروا أنّ الزمنَ لاعبٌ بارعٌ ونهمٌ.
يكسب دون غش وفي كل الأوقات.
تذكروا .. أنّ الأيام تتناقص والليالي تزداد..
واللجة ظامئةٌ وساعةُ الماءِ في جفافٍ.

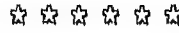
☆☆☆☆☆

أحياناً تدق الساعةُ في لحظات صفاءٍ سماويةٍ..
حيث المثلُ العليا في كامل طهرها وعذريتها
والندمُ يصبحُ آخر الخطات التي تقول لنا:-
موتوا أيّها الجبناء لا ينفع الندمُ.

أغنية ما بعد الظهيرة

رغم أنّ حاجيك يبدو أن شريران
ورغم أنّك تبدين في هيئة غريبة..
ليست كهيئة الملائكة ذات عنين صافيتين

ولكنّها كهيفة الساحرات ذوات العيونِ المشعةِ الشريرةِ
فلئنّي أعبدك يا طيشي الجميل وسمي القاتلُ
بكل القطاع وإخلاص الرهبان لمعبوداتهم.



الصحراء والغابة تعطران خصلاتِ شعركِ الأجعد الحشنُ
ورأسك المليئة بالطلاسم والأسرار ..
تترنحُ على مقعدكِ الوثير حيث يضوعُ العطرُ
كما تضوع العطورُ من المباحرُ .
إنّك فاتنةٌ كالمساء ..
يا حوريتي المظلمةُ الساخنةُ.

وإنّ كافة المشروباتِ المركزةِ المثيرة للشهوةِ
لا تكافيء هذا الكسلَ الجميلَ الذي تبدينه
يا من تجيدين المداعباتِ التي تنفخُ الروحَ في الأمواتِ.



إنّ ردفكِ مولعٌ بظهوركِ الجميل ونهديك الشامخين...

وأنت تسعدين بارتخائك المثير كلَّ وسائلِ الريشِ ووسائلِ
الحريرِ.

وأحياناً عندما تودين إطفاءَ شهوتكِ المتأججةِ الغريبةِ
فإنَّك تفرطين في العضِّ والقبلاتِ

☆☆☆☆☆

إنَّك تمزقيني يا سمراي الجميلةِ
بضحكتك الجريئةِ الساخرةِ
وتلهينَ قلبي بعينيكِ الناعستينِ كالقمرِ.

☆☆☆☆☆

فتحتِ حدائكِ الجلدي الصقيلِ ..
وتحت قدميكِ الحريريَّينِ الساحرينِ
صببتِ كلَّ مباهجي وأفراحي..
ووضعتِ كلَّ ملكاتي ومصير حياتي

☆☆☆☆☆

لقد شفيتِ كلَّ جراحاتي وعذاباتي روحي
أيتها السابحةُ في الضياءِ المترعةُ اللونِ.
المتفجرة الدفءِ في صحراءِ حياتي الباردةِ المعتمةِ ...

القطّة

تعالى إلى قلبي المولّه يا قطّتي الجميله
واحفظي عليك أظافرَ قدميكِ
ودعيني أغرقُ في عينيكِ الجميلتين ..
عينيكِ المنسوجتين من المعدن والعقيق
فعندما تُداعبُ أصابعي رأسكِ وظهركِ المطاطي ...
تنتشي يدي وهي تُلامسُ جسدكِ الكهربائي ...
وترى عينا روعي خيالَ امرأتِي
ببظراتها التي تشبه نظراتك أيتها القطّة الحبيبه...
في عمقها وهدوئها الجارح كالسهم..
وبعطرها الضائع الذي يلف جسدها الأسمر..
بغلالة شفافة من أخمصِ القدمين حتى الرأس.

الجيفة

أتذكرين ذلك الشيء الذي رأيته سوياً يا حبيبتى
في ذلك الصباح الصيفي الهادئ... ؟
تلك البغي التي ترقدُ في منحني الطريق ..
على سريرها المرصع بالخصي .



فخذان مفتوحان للهواء كامراً شبقه.
تنلظى رغبةً وتصببُ عرقاً ساماً.
كاشفةً في إجهادٍ وسخرية...
عن بطنها المتفخخة بالغازاتِ النتن



أتذكرين كيف كانت تسليجُها الشمسُ بأشعتها المحرقة
كأنما تودُ أن تُنضحَ لحمها المتخثر النتن
معيدةً بذلك إلى الطبيعةِ مائة مرة ..
كلّ ما نسجته من أمشاج ولحم وعظام.

ورغم ذلك فإنك شبيهة بهذه الجيفة
شبيهة بهذا التحلل الخيف..
نعم يا نجمة عيني وشمس روحي
نعم يا ملاكي ومبعث إلهامي

☆☆☆☆☆☆

نعم .. هكذا ستصيرين يا مليكة الرحمة
في أعقاب الصلوات الأخيرة.
حينما ترقدين تحت العشب والأزهار الكثيفة
بصورة أبدية بين العظام.

☆☆☆☆☆☆

وحينها قولي - يا حلوتي - للديدان
التي ستأكل شفاhek الرقيقة
بأنني قد احتفظت بالشكل والجوهر المقدس...
لحي المتحلل الموات.

حسراتٌ بعد الموتُ

حينما تنامينَ يا حبيبتى السوداءَ الجميلةَ ..
في قاع مقبرةٍ مَشِيدَةٍ من الرخامِ الأسودِ ..
وحينما لا تملكين في مخدعك الترابي ..
غير نفقٍ رطبٍ وحفرةٍ عميقةٍ ..



وعندما تضغط الحجارة على صدركِ الخائفِ
وعلى فخذكِ الطريينِ المجهدينِ
ويصمت قلبك عن الحفقاتِ والرغباتِ ..
وقدماك تمسكان عن الجري وراء المغامراتِ



فإنَّ مقبرة أحلامي التي لا تنقضي ..
حيث يعدم النوم في الليالي الطويلةِ
ستقول لك ماذا يفيدك أيتها الفتاة اللعوبُ
بأن لا تعرفين ما يبكي الموتى ..
إنَّه الدود .. الذي سيقضم لحمك كما تنهش الحسراتُ.

تنكيسٌ في الخلق

أتعرف الغمَّ أيُّها الملاكُ المليءُ بالمرحُ .. ؟
أتعرف العارَ والندمَ والنحيبَ والصجرُ .. ؟
أتعرف موجاتِ الرعبِ الدافقةِ من الليلاتِ المخيفه ؟
عندما تضغطُ القلبَ كما يفعل المرءُ بالورقة الملقاه في سلة
المهملاتِ .. ؟
أيُّها الملاكُ المليءُ بالمرح هل تعرف الغمَّ.



أتعرف الكراهيةَ أيُّها الملاكُ العامرُ بالطيبةِ والسماحةِ
حينما تتشجُّ القبضتان في ظلالِ الدموعِ والحقدِ الطاغي
وعندما يدقُّ الانتقامُ طبلته الجهنمية..
وحين تصبح المشاعرُ المهتاجة هي القائدُ المتحكم فينا؟
هل تعرف الكراهيةَ أيُّها الملاكُ العامرُ بالطيبةِ والسماحةِ.
أيُّها الملاكُ الموفورُ الصحةِ هل تعرف ويلاتِ الحمى
بين جدرانِ المستشفياتِ الصفراءِ الكثية ..
عندما يعجز المرضى أرجلهم كما يعجز المنفيون خطاهم
محركين شفاهم الجافة باحثين عن ضوء الشمس.

هل تعرف أيُّها الملاك المليء بالعافية ويلات الحمى
أيُّها الملاك الفاتن الجمال .. هل تعرف التجاعيدُ
والخوفَ من الشيخوخةِ والتكيسِ في الخلقِ
هل بوسعك قراءة هذا الرعبِ الخفيِّ النابعِ من الإخلاصِ
والمشعِّ من عيوننا المحشوةِ باللهفةِ
هل تعرف معنى التجاعيدِ أيُّها الملاكُ الفاتنُ الجمالُ ؟ !!!

العدو

لم يكن شبابي سوى عاصفة مظلمة هوجاء ...
تخللته بعضُ الشمسِ المضيئة.
برغم الرعودِ والأمطارِ التي ألحقتْ به الكثيرَ من الأضرار..
ولم تترك في بستانه سوى القليل من ناضجة الثمار

☆☆☆☆☆

ها آنذا قد لامستُ الآن حريفَ الأفكار ..
لأتمكن من استخدام الفأسِ والمِعولِ
ليتسنى لي حيازة الأراضي المغمورة من جديد .
رغم الأخاديدِ العميقة التي تنخرها المياه كالقبور.

☆☆☆☆☆

من يدري لعل الأزهارَ الجديدةَ التي أحلمُ بها
قد تجددُ في هذه الأرضِ المغسولةِ كالمقبرة ..
الغذاءَ الروحي الذي يمدُّها بالقوة والنماء

☆☆☆☆☆

أيتها الرائحة .. أيتها الرائحة : إنَّ الزمنَ يأكل الحياة .
والعدو الغامضَ الذي يقضمُ قلوبنا..

ينمو ويقوي من دماننا المسفوحة.

أنشودة للجمال

هل تنزلت من السماء أم صعدت من الجحيم
أيها الحسن إن نظراتك الجهنمية المقدسة ..
تشعل في الروح مزيجاً من حب الخير وإدمان الجريمة.
فأنت شبيه بالبيد المعتق حينما يسري في الأوصال.



إن عينيك تضمان هدوء الأصيل وتناوب السحر..
وتضوع منك العطور كما يتمدد المساء المشحون
بالعواصف.
إن قبلك رحيق مُسكر وفمك إناء بلوري رقيق.
يا طالما أخاف الأبطال ...
وألهم الشجاعة للأطفال.



هل خرجت من هوة سحيقة مظلمة أم هبطت من
الكواكب.
إن القدر المسحور يتبع تنورتك كالكلب الوفي ..

وأنت تنثرُ الفرَحَ كما تنثرُ المآسي.
وتتحكم في كل شيءٍ ولا تستجيبُ لشيءٍ.

☆☆☆☆☆☆

إنك تمشي على جثثِ الموتى هازئاً أيها الجمالُ اللامبالي...
وليس أقل الأشياءِ روعةً ذلك الرعبُ المنبعثُ من حُلّيك.
إنّ القتلَ يكمنُ ضمن أعلى نفائسك...
ويتدلى في نشوةٍ راقصةٍ من قوامكِ المليءِ بالغرورِ.

☆☆☆☆☆☆

إنّ صبايا الضوءِ تتحلقُ من حولكِ أيها الشمعدانُ الباهرُ
مترنمةً وصائحةً : بوركِتِ أيها المزهو الأخاذُ ...
فالعاشقُ الولهانُ المنكفيُّ على محبوبته ...
متداعياً عندك كالمختضرِ الملامسِ لمقبرته.

☆☆☆☆☆☆

ماذا يَهُمُّ إن كنت قد تَزَلَّتْ من السماءِ أو صعدتَ من
الجحيمِ !!
أيها الجمالُ الوحشيُّ الخفيفُ ...

فإنَّ عَيْنِكَ وابتسامتك وقدميك...
قد أشرعتْ لي بابَ العالمِ اللانهائي الذي أعشقه.

☆☆☆☆☆☆

وماذا يَهُمُّ إن كنتَ قد جئتَ من الإله أو صدرت عن
الشیطان
وماذا يَهُمُّ إن كنتَ ملاكاً أو كنتَ من حورياتِ الماءِ
وماذا يَهُمُّ إن صرتَ جنيّةً ذات عَيْنينِ مخمليتين .
أو صرتَ إيقاعاً أو عطراً أو القأ يا ملكي الأوحـد النبيلُ
لفي حضرتك يكتسى الكونُ بهاءً...
وتصيرُ اللحظاتُ أكثرَ رشاقةً كأنّها عصفورٌ.

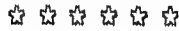
☆☆☆☆☆☆

الحياة الماضية

عِشْتُ زمناً طويلاً داخلَ الأروقة الممتدة
حيثُ تسكَبُ الشمسُ البحريةُ آلافَ النيرانِ
فتتصبَّبُ أعمدُها الفخمةُ الملوكةُ
جاعلةً من المساءِ كهوفاً برلتيه.



فاضطراب الموج في حركته الدائمة يعكس صفحة السماء
مازجاً في صورة احتفاليه روحية..
أصداء المتناغمة وموسيقاه الثرية..
بالوان الطيف الزاهية المنبعثة من عيني



هنالك عِشْتُ غارقاً في اللذات الهادئة..
في قلب الشفق والأمواج والبهاء..
وفي وسط الأرقاء التعساء..
العراة المشرّين بالروائح النفاذة..

المرطبينَ جبهتي بسعفِ النخيلِ ..
المعمقين في كياني الأسرارَ المؤلمةَ التي تضنيني .

☆☆☆☆☆☆

السّفينة الجميلة

أود أن أحدثك أيتها الساحرة البضة
عن المفاتيح الشتى التي تزيّن شبابك
وأريد أن أرسم لوحةً لجمالِكَ الأخاذِ ..
حيث تترجّ الطفولةُ بالنضج والكمالُ

☆☆☆☆☆☆

فعندما تمشينَ محرّكةَ الهواءِ بتنورتك الواسعةَ الفضفاضةَ ..
تتركينَ في النفسِ شعوراً شبيهاً بما تُخلّفهُ السفنُ المبحرةُ
جميلةً ومزهوةً حينما تمخرُ العبابَ ..
ومنزلةً في اليمِّ بأشرعتها المليئةِ بالرياحِ ..
في إيقاعِ هاديءٍ ، كسولٍ ، وبطيءٍ

☆☆☆☆☆☆

وعلى عنقك الطويل المستدير وكشفك الناعمين ..
تتأرجح رأسك في لطافة غريبة ومدهشة
وفي وداعة ممزوجة بالزهو والغرور
تعبرين الطريق أيتها الطفلة المكسوة بالبهاء.

☆☆☆☆☆☆

أود أن أحدثك أيتها الساحرة البضة
عن المفاتيح الشتى التي تزين شباك.
وأريد أن أرسم لوحه لجمالك الأخاذ
حيث تمتزج الطفولة بالنضج والكمال.

☆☆☆☆☆☆

إنّ عنقك الجميل الرافل في الحرير
مزهو كخزانة لامعة ومتينه
مجتذباً الأضواء كما تفعل الدروع الصقيلة

☆☆☆☆☆☆

دروع مثيرة ومسلحة بسانٍ ورديه
خزانة مليئة بأسرار ناعمة وأشياء جميلة

وذاخرةً بالنبيذِ والعطورِ والكحولِ
الواهيةِ السُّكْرِ والهذيانَ للقلوبِ والعقولِ.

☆☆☆☆☆☆

عندما تشمين محرقة الهواء بتنورتك الواسعة
تركين في النفس شعوراً شبيهاً بما تُخلفه السفنُ المبحرةُ
جميلةً ومزهوةً حينما تتمخر العبابُ
ومنزلقه في اليم بأشرعتها المليئة بالرياح..
في إيقاع هادئ، كسول، وبطيء.

☆☆☆☆☆☆

إنّ ساقيك النبلتين حينما تحركان أطراف ثوبك الأليق..
تقلبان مواجع الشهواتِ الداكنةِ وثيران..
كساحرتين تَرْجُان مشروباً مسحوراً في إناءٍ عميق.

☆☆☆☆☆☆

وذراعيك البضين القويين..
شبيهان بحيتين لامعتين متزاحمتين..

فقد خلّقا ليضمان في عنادٍ واصرارٍ..
إلى القلبِ .. صَدَرَ الحبيبِ كأنّما يودان نقشه على
الجدرانِ.

☆☆☆☆☆

وعلى عنقكِ الطويلِ المستديرِ وكتفكِ الناعمينِ..
تتأرجح رأسك في لطافة غريبة ومدهشة.
وفي وداعةٍ ممزوجةٍ بالزهر والغرور ... بالبهاء
تعبرين الطريق أيتها الطفلة المكسوة بالبهاء.

☆☆☆☆☆

الصوت

منذ أن كنتُ صبيّاً كان مهدي يستندُ إلى المكتبات..
حيثُ بابلُ المظلمة والروايات والعلوم والأساطير..
يختلطُ جميعها مع الرمادِ اللاتيني والغبارِ اليوناني..
لقد كنتُ معلقاً في الهواءِ ككتابٍ صغير..
كان هناك صوتان يخاطباني ..
أولهما مخادعٌ وماكرٌ وحازم..
كان يقولُ لي : الأرضُ قرصٌ حلوى مليءٌ بالرحيق ..
وبوسعي أن أجعلُ هناءك دون حدودٍ ...
وشهيتك دون مثيل..
أما الآخر فقد كان يصيحُ بي : تعال إليّ أيُّها المسافرُ في
الأحلام ...
أيُّها اللذاهب لما وراء الممكن وما وراء المعلوم..
كان يغني كما تغني الريحُ في الرمل..
كان شبحاً صارخاً لا يدري أحدٌ من أين يجيء..
يداعب الأذان غير أنّه يفرقها في فزع أكبر.

لقد أجبتك صائحاً: نعم أيُّها الصوتُ العذبُ.
ومنذ ذلك الحين جاء ما يقال عنه:
جرحي وقدري الرابضُ ...
خلف أقنعة الوجود الرهيب والهوةِ السحيقةِ المظلمةِ.
أرى بوضوح عوالمَ غريبةٍ وفريدةٍ
وعبر رؤيتي الواضحةِ وذهولي المميتِ
أجرجر ثعابيناً تنهشُ في حقدٍ كعبَ حداثي
ومنذ ذلك الحين وأنا شبيهةٌ بالأنبياءِ
أحب بالحنان كله البحرَ والصحراءَ
وأضحكُ في المأتم وأبكي في الأفراحِ
وأجد مذاقاً طيباً في أكثرِ النبيلِ مرارةً ..
وأعتبرُ كل الحقائق من قبيل الترهاتِ
أسير وعيناي معلقتان بالسمااء فأسقط في الحفرِ
غير أنَّ الصوت كان يعزيني قائلاً: لتبقي على هواجسك..
فالعقلاء ليسوا أفضل من المجانين.



الجمال

إنني جميلةٌ كأحلامِ الحجارة ..
وصدري حيث يستشهدُ العشاقُ مرّاتٍ ومرّاتٍ ..
قد خلّقَ ليلهم الشعراء ..
قصائدَ الحبِّ الخالدِ والصامتِ كصمتِ الجمادات ..
إنني أترعُ على عرشِ الشفقِ كلغزٍ غامضٍ
يؤلّف بين القلبِ الثلجيِّ الباردِ وبياضِ طيورِ البجعِ .
إنني أبغضُ الحركةَ التي تُربكُ انتظامَ الخطوطِ ...
ولا أعرفُ البكاءَ كما لا أعرفُ الضحكُ ...

☆☆☆☆☆☆

فالشعراء الحائرون أمام جلال أوضاعي ...
البادية وكأنّها قد أُستُلِفَت من الصروح العظيمة ..
يستهلّكون أعمارهم في الهمِّ والتفكير والدروس العقيمة .

☆☆☆☆☆☆

لأنّني. كي أسحر هؤلاء العشاق المولعين
فإنّ في عيني مرايا صافية تنعكس بهاءاً على كلّ الأشياء
عيناى الرحيتان المضئيتان منذ الأزل.

سوء حظ

لكي ترفعَ حملاً ثقيلاً يا (سيزيف) (١) ...
فكل ما تحتاجه الشجاعة
ورغم أنّ لنا قلوباً حساسةً ومؤلفات ..
إلا أنّ سلّم الفنّ طويلٌ والزمنُ قصيرٌ.

☆☆☆☆☆

بعيداً عن المقبراتِ الشهيدة

(١) في الميثولوجيا اليونانية أنّ سيزيف قد حكمت عليه الآلهة بحمل صخرة على كتفيه والصعود بها إلى قمة الجبل، غير أنّه ما أن يشارف القمة حتى تتدحرج الصخرة لتهدى إلى الأرض، فيعاود سيزيف حملها والرتقي بها إلى القمة دون جدوى، وهو بهذا يصبح رمزاً للإصرار. المترجم

ونحو قبور مجهولةٍ وبعيدةٍ
فإنَّ قلبي كربةٍ مشبوبةٍ..
يعزفُ للخطواتِ الجنازيةِ المحزونةِ.

☆☆☆☆☆☆

الكثير من المرحين يرقدون هنا مطمورين
في غياهبِ الظلماتِ والنسيانِ.
بعيدين عن كل آلاتِ الحفرِ وقياسِ الأعماقِ.

☆☆☆☆☆☆

الكثيرُ من الأزهارِ التي تفوح في حسرةٍ..
يضعُ شذاها الشفيفُ كأَنَّه الأسرارُ..
في هذا المكانِ العميقِ الوحشةِ.

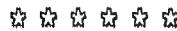
☆☆☆☆☆☆

إلى سيدة كريول^(١)

في تلك الأرض المضمخة بالطيب، المغسولة بالشموس.
التقيتُ في سُرّادقِ أغصانِ الأشجار الأرجوانية..
وعند هيماتِ أشجارِ جوزِ الهندِ التي تنثرُ العاسَ على
العيونُ
بامرأة كريول ذات سحر أخاذٍ وفسةٍ لا يُعرفُ لها مثيلُ.



كان لونُ بشرتها شاحباً وساخناً في سُمرةٍ ساحرة.
وكانت غيداءَ ينضح من مشيتها النبلُ والكبرياءُ
فارعةً ورشيقةً في خطوتها كأنّها قناصة..
ولها ابتسامةٌ هادئةٌ وعينانِ واثقتانُ



(١) الكريول: هم الخلاسيون من بقايا الرقيق الإفريقي، الذين امتزجوا بالدماء
الأوروبية في المستعمرات الفرنسية خاصةً في جزر المارتنيك والقودلوب
والريونيون، ويتحدثون لغة تسمى الكريول وهي خليط من الفرنسية واللغات
الإفريقية. المترجم.

إذا ما ذهبتِ أيتها السيدةُ إلى أرضِ المجدِ الحقيقيّ ...
عند شطآنِ السينِ أو اللوارِ الأخضرِ ...
ستكونينَ زينةً لل بناياتِ الفخمةِ العتيقةِ .
وستزرعينَ في الظلالِ المعتمه ...
آلافِ القصائدِ في قلوبِ الشعراءِ ..
المدعينَ لحسنكِ الأسرِ كما يُذعنُ في بلادِكم الأرقاءُ .

الظلمات

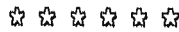
في سراديبِ الحزنِ الذي لا قاع له ...
حيث أمكثُ منقياً من القدرِ المختومِ
لا يدلفُ شعاعٌ ورديٌّ ومرحٌ ..
فالليلُ الحالكُ الكئيبُ هو المضيفُ والمؤانسُ.



إني شبيهٌ برسامٍ حكَمَ عليه إلهٌ ساخرٌ..
بالرسم، يا للحسرة، في ظلامٍ دامسٍ
فأنا محكومٌ بالطهي للشهيةِ الجنائزيةِ
وأراني أظهو قلبي وأقبلُ على أكلهِ بشهيةِ.



أحياناً يتلأأ في الظلماء ...
شبحٌ ممزوجٌ بالرحمةِ محفوفٌ بالأضواءِ
يتبختر مزهواً في مشيتهِ الحاملةِ الشرقيةِ.



وحيثما يبلغُ قمةَ مجدهِ الوضاءُ ..
فإنني أتعرف على زائرتي الحسنة ..
إنها هي .. سوداءٌ .. ولكن باهرة الأضواء

اللوحة

إنَّ المرضَ والموتَ .. يخلقان الكثيرَ من الرمادِ
من وميضِ النارِ التي أضرمتُ من أجلنا ...
ومن تلك العيون الواسعة الداخرة بالحياة والحنانِ
وهذا القم الذي طالما غرق فيه قلبي ...



من هذه القبلات النفاذة كالرياحين ..
وهذه الحركات السريعة كالشعاع ..
ماذا تبقى الآن يا للهول ... ؟
ليس سوى رسمٍ شاحبٍ بالأقلام.



من مثلي يموت في وحدته .. ؟

تمرغه كل يوم جناحا الزمن الظالم الوقح

☆☆☆☆☆☆

أيُّها القاتلُ الأسودُ للحياةِ والإبداعِ ..
ليس بوسعك أن تقتلها في ذاكرتي ..
تلك التي كانت مبعثَ فخري ومصدرَ بهجتي

المغرم

الشمس قد غطت وجهها بغلالة أرجوانية
فيا قمر حياتي، لتدثر نفسك بالظلال ...
ثم نم أو إن شئت دخن لفافتك راضياً ..
وكن صامتاً وغامضاً واغرق في لجة الضجر.

فإنني هكذا أحبك أن تكون .
ورغم ذلك فإن كنت تود الخروج ...
كما يخرج من حُسوفه القمر ..
لتبخر كالتاؤوس في الأماكن التي يزحمها الجنون ..
فلك ما شئت أيُّها الخنجرُ الخارجُ من غمدته.

أشعل حدقاتِ عينيكِ من لهبِ القناديلِ ..
أشعل الرغبةَ في النظراتِ وفي النزواتِ
كل ما يصدرُ عنكِ فإنه حبيبٌ لنفسِي ..
حتى لو كان مرضياً أو حادّ الطباعِ .



كنْ كما تشاء .. ليلاً مظلماً أو فجراً أحمرًا ..
فليس في جسدي عصبٌ لا يهتفُ مرتجفاً:
«إني أعبدُكَ يا حبيبي الغالي بلزيوت»



نقشٌ على كتابٍ تمت إدانته

أيُّها القارئُ المسالمُ البسيطُ..
أيُّها القانعُ الساذجُ الودودُ..
ألقِ من يدِكَ هذا الكتابَ المريضُ..
المليءُ بالسخريةِ المريبةِ .. الكُتيبُ.



فإن لم تكن قد ارتويت من حياضِ عالمِ البيان ..
لدى الشيطانِ الماكرِ الكبيرِ..
ارمِ هذا الكتاب .. لأنَّ فهمه عليك يستحيلُ ..
وربما اعتبرتِ كاتبةً في حالةٍ من الهياجِ والذهولِ
إن كنتَ تستطيع تركَ عينيكِ تغوصانِ في الأعماقِ ..
فالتقراءني لتعرف كيف تعبني



أيَّتُها الروحُ الفضوليَّةُ المعذبةُ..
الباحثة عن جنتها في تلافيفِ نفسي...
فالتراثي لحالي..
أو سادعو عليك باللعنة.

موت الفنانين

كم مرة يتعين عليّ قرعُ أجراسي
وتقيلُ جبهتك المطأطئة أيّها الخلقُ الساخرُ الحزينُ .
لتلّسعني في نهايةِ المطافِ هذه الطبيعةُ الصوفيةُ
كم مرّة يا كثانة سهامي تطيشُ مني السهامُ؟

☆☆☆☆

إنّنا نستهلكُ أرواحنا في نسجِ الدسائسِ الباردة
وتحطيمِ هياكلِ أجسادنا المتينةِ الصلبة
من قبل أن نتأملَ هذا الخلقُ الهائلُ ..
الذي تملّؤنا رغبته الجهنمية بالنحيبِ .

☆☆☆☆

كثيرون ممن لم يعرفوا أصنامهم ...
إنّهم النحاتون المعبودون الملتطخون بالعارِ
الضاربون بالمطرقة صدورهم والجباهُ.

☆☆☆☆

ليس لهم سوى أملٍ واحدٍ غريبٍ وقبةٍ مظلمةٍ

إنَّه الموتُ المخلَقُ فوق رؤوسهم كالشمس الجديدة
لِيُفَتِّحَ الأزهار في عقولهم.

موت العشاق

ستكون لنا أَسِرَّةٌ مليئةٌ بعطر (شفيف)
وأرائك وثيرةٌ وعميقةٌ كالقبور ..
وأزاهيرٌ غريبةٌ موضوعةٌ على الرفوف
يَلْفُنا عطرها تحت سماءاتٍ أكثر بهاءً

☆☆☆☆☆

متنافسان قلبانا برمقهما الأخير ..
سيصبحان شعلتين تعكسان ضوئهما الغزير
على مرآة روحينا التوأمين.

☆☆☆☆☆

وفي مساءٍ مضفورٍ بالوردِ وعالمٍ روحانيٍّ أزرق ..
ستبادل أضواءاً لألأةٍ وفريدة ..
ممتدة كالحيبِ الطويلِ ومليئةٌ بعباراتِ الوداع .
وبعد ذاك يُقْبِلُ الملاك .. ليفتح الأبواب ..

متهللاً ومخلصاً ليعيد الصفاء للمرايات المعتمة والشعلات
الذابلات .

موت الفقراء

يا للحسرة .. إنَّ الموت هو العزاء الذي يدفع للحياة ..
إنَّه هدفُ الحياةِ وأملها الوحيد ..
فهو كالأكسير يتفرع أجسادنا ويسكرها .
ويهب قلوبنا المقدرة على السير حتى المساء .

☆☆☆☆☆☆

عبر العواصف والجليدِ والشتايا ..
إنَّه الضوءُ المتلألئ في أفقنا الخالكِ السوادِ
إنَّه نُزُلنا الشهيرُ المسطورُ في الكتابِ .
حيث يمكن الغداء والجلوس والرقادُ .

☆☆☆☆☆☆

إنَّه ملاكٌ يمسك بأصابعه النورانية ..

النوم ويهب الأحلام والرؤى الصوفية ..
ويهيئ الفراش للفقراء العراء ..



إنَّه مجد الآلهة ومستودع الروحانيات ..
وهو هبة الفقير وملاذة الأوحاد ..
إنَّه البوابة المفضية للسموات المجهولة ..



نهاية اليوم

تحت ضوءٍ شاحبٍ خفيتُ ..
تجري وترقص الحياة مشيئةً من دون ما سبب ..
الحياة الوقحة الصخابة ..
هنيئةً ويصعد الليلُ المليء بالشهواتِ في الأفق ..
مهدئاً لكل شيءٍ حتى عضه الجوع وشدة الظمأ ..
وماحياً لكل شيءٍ حتى الشعور بالخجل ..
وحينها يخاطب الشاعر نفسه قائلاً : «أخيراً !!!».



إنّ روحي وكافة أوصالي تنوق للهجوع ..
وكذا قلبي المليء بالهواجس الشهواءِ والظنون ..
سأذهبُ لكي أستلقي على ظهري ..
وأتمرغُ في ستائرِك أيتها الظلمةُ المعеше.

سمبر أيّدم

قلت لي : من أين يأتيك هذا الحزنُ الغريبُ ...
الصاعدُ كما يصعد موج البحرِ على صخرةٍ سوداءٍ عاريةٍ ..؟
أقول : عندما تجني قلوبُنَا ما ترتجي من ثمرات ..
تصبح معاناةً وألماً ينقصه الغموض والإثارة ..
تماماً مثل بهجتك الغامرةِ البادية للعيان ..
فلتكفي عن البحثِ طويلاً أيتها الجميلةُ الفضوليةُ.
ولتصمتي رغم جمال صوتك وعدوبته.

☆☆☆☆☆

لتصمتي أيتها الروحُ الجاهلةُ الدائمةُ البهجةُ.
أيها الفمُ الضاحكُ كالأطفال ..
إنّ الموتَ قد غدا يُمسِكُ بنا أكثر من الحياة.

☆☆☆☆☆

لتركي قلبي ينتشى بالكاذب ..
وينغمس في عينيك الجميلتين كما ينغمس في الظنون ..
دعِهِ ينام طويلاً في ظلالِ هُدُبكِ الطويلِ .

الميت الفرح

أريد أن أحفر لي حفرة عميقة ومظلمة
في أرض رخوة وملينة بالرخويات
ليتسنى لي في مهل طمر عظامي الواهنة المعلولة
وأنام على حصى النسيان كالسمكة بين الأمواج

☆☆☆☆

إنني أبغض الترائيل الجنائزية والأضرحة..
وعوضاً عن أزرف قطرة دمع أسفاً للعالم والأحياء..
الأفضل دعوة كل الغربان لتدمي جيفتي الشوهاء.

☆☆☆☆

آيتها الديدان السوداء الفاقدة الأعين والأذان..
ها قد جاءك ميت حرّ وسعيد.

أيها الحكماء الشرهون يا أطفال العفن .
لتمضي عبر حطام جسدي دون حسرةٍ أو إشفاقٍ
وتعالى إن كان لديك عذابٌ أكثر قسوةً وأمرٌ مذاقُ
لهذا الجسد الواهن الراقد بين الأموات .

سأم

أحفظُ بالكثير من الذكرياتِ كأنما عُمِّرتُ ألفَ عامٍ
إنني شبيهٌ بخزانةٍ مليئةٍ بالدفاترِ ..
والأشعارِ والبطاقاتِ الغرامية والدعاوي القضائيةِ وأغالي
الحب .

إنّ شعري الكثيف المتدلي في خصلاتٍ ..
يخفي أسراراً ثقل كثيراً عما يخفي عقلي التبعسُ
إنّه هَرَمٌ ضخّمٌ وكهفٌ لا قرار له .
يرقدُ فيه أمواتٌ أكثر من تضمهم مقبرةٌ جماعية .
إنني مقبرةٌ يجفوها ضوءُ القمرِ ..

وتزحفُ فيها الديدانُ كما يزحفُ الندمُ ..
 ناهشاً لحم أحباب الأثيرين إلى قلبي.
 إنني شبيهٌ بصالونٍ عتيقٍ مليءٍ بالأزهارِ الذابلةِ
 يتكدس فيه ركامٌ من الأثاثِ العتيقِ الباليِ
 ولا يَسْتَنشِقُ فيه عطراً فائحاً إلا أصحابُ الأقلامِ المنتحبةِ.
 ليس هناك ما يشبه طولَ الأيامِ العرجاءِ
 حينما يُصبحُ الضجرُ تحتَ ثقلِ سنواتِ الثلجِ المندوفِ ...
 أضخمُ حجماً وأكثرَ أبعاداً من الأبديةِ
 ورغم ذلك لَمْ تعودَيْنِ أيتها المادّةُ الحيةُ ...
 إلا صخرةً صلدةً يطوقها رُعبٌ غامضٌ ...
 قابضةً في جوفِ صحراءِ ملبّدةٍ بالغيومِ ..
 لغزاً قديماً مجهولاً للعالم لا مبالي ..
 منسياً على خارطةِ الدنيا .. ولا تنطلقُ دعابتهُ المنفرةُ ..
 إلا في أشعةِ الشمسِ المائلةِ للغروبِ .

قارورة عطر

إنها ذات عطر قوي ينفذ من كل الأشياء ..
حتى لكأنه يفلتُ من جدران الزجاج ...
حينما يُفتحُ صندوقُ قادمٍ من الشرق .
صائحةً مفاصله في غضبٍ وهياج ...



أو من خزانة في بيتٍ منسي مهجور ...
فائحة بروائح الأزمنة الغابرة مغيرةً سوداء ...
فأحياناً نجد قارورة قديمة غارقة في تذكّار
من أين انبجست تلك الروح الوثابة عائدةً للدار
آلاف الأفكار تنام متشرقةً وكثيية .
مرتعدة في هدوء في الظلام الكثيف ...
المطلق جناحيها لتلحق في الأثير ..

زاهيةً في اللازورد مطرزةً بذهب الأصيل ..
ها هو ذا التذكارُ المسكرُ المرفُ كالفراش ...
في الهواءِ العكرِ حيث تغمضُ العيونُ أجفانها ..
ويأخذ الدوارُ بتلايبِ النفس المهزومة ..
ليقلد بها في لجةِ الإنسائيةِ الداكنةِ التسه.



واضعاً لها على شفير هاويةٍ سحيقةٍ وقديمةٍ ..
حيث رائحةُ الخنوطِ تترق كفن العازر ..
فيتحرك في الجسد الطيفي الفاني ..
حبٌ رمسيٌّ قديمٌ ومتخثرٌ ورائعٌ !!!



هكذا سيكون حالي عندما تتمحي ذكرياتي ...
وأرقد في ركنٍ قصي من مكانٍ مشؤوم .
عندما يلقون بي كقارورةٍ قديمةٍ وبائسةٍ ..

عاجزاً وأغبراً ومتسخاً ولزجاً ومحطماً .
حينها .. سأصبح تابوتك أيُّها العفنُ الحبيبُ ..
الشاهد على قوتك ومضاءٍ عزمك .
أيُّها السَّم الحبيب الذي استحضرتَه الملائكةُ !
أيُّها السَّائل الذي ينهشني .. يا حياة قلبي ونائه !!

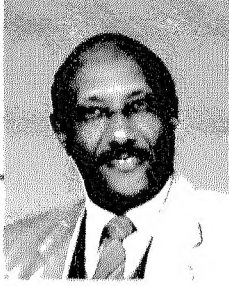
فهرست

رقم الصفحة	الموضوع
٤	الإهداء
٥	عذابات الشعر
٨	رسالة إلى القارئ
١٠	مدخل
١٣	ما هي القصيدة؟ وما هو الشعر؟
١٥	شارل بودلير شاعر الخطيئة والتمرد
٢٣	بودلير والرحيل والبحر والعطور
٢٨	جان دو فال وأنخريات
٣٣	الضجر والزمن والميتافيزيق
٤٨	خاتمة
٥٠	مراجع
٥١	بعض قصائد أزهار الشر

٥٢	رسالة إلى القارئ
٥٥	تحقيق
٥٦	الموسيقى
٥٧	عطر
٥٨	الباطروس
٦٠	البحر
٦١	الشرفة
٦٥	أغنية خريفية
٦٧	مغيب الشمس
٦٨	بركات السماء
٧٠	مشاعل
٧٣	الخصلات
٧٦	انسجام المساء
٧٧	طعم العدم
٧٨	وسواس
٨٠	العطر الغريب

٨١	إلى امرأة شجاعة
٨٣	عينا برت
٨٤	حزن القمر
٨٥	لوحة طبيعية
٨٧	ساعة الجدار
٨٨	أغنية ما بعد الظهر
٩١	القطّة
٩٢	الجيفة
٩٤	حشرات بعد الموت
٩٥	تنكيس في الخلق
٩٧	العدو
٩٨	أنشودة للجمال
١٠١	الحياة الماضية
١٠٢	السفينة الجميلة
١٠٦	الصوت
١٠٨	الجمال

١٠٩	سوء حظ
١١١	إلى سيدة كريول
١١٣	الظُّلمات
١١٤	اللوحة
١١٥	المغرم
١١٧	نقش على كتابٍ تمت إدانته
١١٨	موت الفنانين
١١٩	موت العشاق
١٢٠	موت الفقراء
١٢٢	نهاية اليوم
١٢٣	سمير أيدم
١٢٤	الميت الفرح
١٢٥	سأم
١٢٧	قارورة عطر
١٣٠	الفهرست



المؤلف في سطور

- الاسم: عمر عبد الماجد عبد الرحمن
مكان الولادة: مدينة الكوه بالنيل الأبيض (السودان).
المؤهلات العلمية:
* بكالوريوس الآداب جامعة الخرطوم.
* ماجستير الآداب جامعة إكس-مرسيليا «فرنسا».
* دكتوراه في التاريخ والثقافات الإفريقية جامعة إكس-مرسيليا «فرنسا».
* دبلوم في اللغة الفرنسية جامعة بيزانسون «فرنسا».
* دبلوم في صناعة القرار في السياسة الخارجية للولايات المتحدة «واشنطن».
اللغات التي يجيدها: العربية والإنجليزية والفرنسية.
المؤهلات العملية:
* أستاذ غير متفرغ في جامعة الخرطوم ١٩٦٩م.
* دبلوماسي في وزارة الخارجية السودانية ١٩٧٠م.
* عمل بسفارات السودان في كينشاسا ودمشق والقاهرة وتونس وباريس وجيبوتي وعمان.
* شغل منصب سفير السودان في زائير وجيبوتي والمملكة الأردنية الهاشمية.
مطبوعات: ديوان شعر بعنوان «أسرار تميكتو القديمة».
وديوان شعر ثاني بعنوان «مهرجان العصفير والآث».
* له العديد من المقالات المنشورة في المجلات العلمية والصحف اليومية السودانية والمصرية والقطرية والسورية.
* يحمل وسام الفهد الزائيري من الطبقة الأولى ووسام الدولة التونسية.
* متزوج وله أربعة أطفال.